التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٦١

مقدّمة المصنّف

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٦٣

المقدّمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه مطلع من اختار من عباده الأبرار، على حقائق «١» الأسرار، و مودع قلوب أصفيائه من لطائف المعارف، ما تحار فيه البصائر و الأبصار، و جاعل القلوب سببا للنّجاة، و موضعا للمناجاة و المبار، و ذريعة الى ارتفاع الدّرجات، و تفاوت مراتب العبادات، في قبول طوالع الأنوار، من مطلع «٢» المسار، فتح بمفاتيح «٣» الغيوب، أقفال القلوب، عمّن شاء و اختار، و رفع حجب السّرائر، و جلا أبصار البصائر، ففهمت الإشارات، و رفعت الأستار، فدهشت في مبادي

إشراق نوره الأحداق و الأنظار، و الصّلاة على نبيّه و حبيبه و معدن سرّه محمّد النّبيّ المختار، و على آله الأئمّة الأبرار «٤»، و صحبه الأخيار، صلاة دائمة بدوام اللّيل و النّهار.

أمّا «٥» بعد «٦»، فإنّ روح السّعادة و بهجتها «٧»، و روح العبادة

---

(١) «د»: خفايا.

(٢) «د»: مطالع.

(٣) «د» «م»: بمفاتح.

(٤) «م»: الأطهار.

(٥) «م»: و.

(٦) و بعد: ظرف مبهم من ظروف الزّمان، لا يفهم معناه إلا بالإضافة لغيره، و قد تكرّر في كلام-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٦٤

و مهجتها «١»، و موجب تلقّيها بأيدي القبول و الإحسان، و

مضاعفة الثّواب بها في دار الجنان، و التّسبّب بها إلى ما لا عين رأت، و لا اذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، و الانتساب بها إلى عالم الملكوت و الملائكة الغرر، و تلقّي الفيض من عالم الغيب و الشّهادة و إيجاب القليل منها لعظيم «٢» الزّيادة؛ إنّما يتمّ بالإقبال بالقلب في أفعالها و حركاتها و سكناتها على اللّه تعالى، و التّفكّر في أسرارها، و تقلّب النّفس حالاتها «٣» حسب اختلاف أوضاعها، و أطوارها.

فإنّها تارة: قصد و إخلاص، و انقطاع و اختصاص.

و تارة: تكبير للّه تعالى و تمجيد و ثناء و تحميد.

و تارة: دعاء و ابتهال.

و اخرى: خضوع و تسافل «٤» «٥» بحضرة ذي الجلال.

- الفصحاء «أمّا بعد» و هي كلمة تسمّى فصل الخطاب، يستعملها المتكلّم إذا أراد الانتقال من كلام إلى آخر. قيل: أوّل من تكلّم بها داود؛ و اليه الإشارة بقوله تعالى: «وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ» يعني: أمّا بعد. و قيل: أوّل من قالها عليّ عليه

السّلام، لأنّها أوّل ما عرفت من كلامه و خطبه. و قيل:

قسّ بن ساعدة الأياديّ حكيم العرب؛ لقوله:

لقد علم الحيّ اليمانون أنّني

إذا قيل أمّا بعد أنّي خطيبها

أي: خطيب «أمّا بعد»، و معناها: مهما يكن من شيء بعد كذا، فكذا. مجمع البحرين ١: ٢١٩ مادّة (بعد).

البهجة: السّرور، و منه الدّعاء: «و بهجة لا تشبه بهجات الدّنيا» أي: مسرّة لا تشبه مسرّات الدّنيا، مجمع البحرين ١: ٢٥٦ مادة (بهج).

(١) المهجة: دم القلب و الرّوح، و منه يقال: خرجت مهجته، إذا خرجت روحه. مجمع البحرين ٢: ٢٤٢ مادّة (مهج).

(٢) «م»: لمعظم.

(٣) «ب» «م»: حالتها.

(٤) «ح» «د»: تشاغل.

(٥) السفل: نقيض العلوّ. مجمع البحرين ١: ٣٨٣ مادّة (سفل). و المراد منه: تحقير النّفس و اعتبارها لا شيء أمام عظمة اللّه تعالى.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٦٥

و تارة: خشوع و تململ «١» على التّراب، بين يدي ربّ الأرباب.

و تارة: تجديد عهد بكلمة التّوحيد، و تقرير الإسلام، و تذكير «٢» بالعهد القديم المأخوذ على الأنام «٣».

و تارة: تحيّة لمقرّبي حضرته بلفظ السّلام، إلى غير ذلك من دقائق الحقائق، التّي تظهر للمصلّي بفكره الصّادق.

و من ثمّ كانت الصّلاة ناهية عن الفحشاء و المنكر، موجبة للقرب و الزّلفى؛ كما نطق به القرآن الحكيم «٤»، و وردت به الأخبار عن النّبيّ و آله، عليهم أفضل الصّلاة و أكمل التّسليم «٥».

و حينئذ؛ فلا بدّ للمكلّف المستيقظ «٦» من الإقبال بقلبه عليها، و التّفكّر في

(١) التّململ: التّقلقل من الألم، و منه الحديث: «يتململ تململ السّليم»، و منه حديث عليّ بن الحسين عليه السّلام: كان ليلة من اللّيالي متعلّقا بأستار الكعبة و هو يتململ؛ و يقول:

يا ذا المعالي عليك معتمدي

طوبى لعبد تكون مولاه

طوبى لمن بات خائفا و جلا

يشكو إلى ذي الجلال بلواه

إذا خلا في الظّلام مبتهلا

أكرمه ربّه و لبّاه

نقل أنّ هاتفا أجابه يقول:

لبّيك لبّيك أنت في كنفي

و كلّما قلت قد سمعناه

صوتك تشتاقه ملائكتي

و عذرك اليوم قد قبلناه

اسأل بلا دهشة و لا وجل

و لا تخف إنّني أنا اللّه

مجمع البحرين: ٣: ٣٣٣ مادّة (ململ).

(٢) «ب»: تذكّر.

(٣) العهد الّذي أخذه اللّه تعالى على بني آدم في قوله تعالى: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» يس: ٦٠.

(٤) العنكبوت: ٤٥.

(٥) مجمع البيان ٤: ٢٨٥.

(٦) «ب»: المستنبط.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٦٦

أسرارها، و التّأدّب بآدابها، و إلاّ كانت بمنزلة الجسد من غير روح، و الشّجرة من غير ثمرة، و العمل من غير غاية.

و قد ذكرنا في هذه الرّسالة نبذة من أسرارها، و زبدة من آدابها، و أكثرها قد وردت به النّصوص، عن أهل الخصوص، عليهم أفضل الصّلاة «١» و أكمل التّحيّات، و بمراعاتها يرتقي «٢» القابل من مدارجها إلى معارج الأسرار و التّجلّيات.

و هذه امور «٣» و إن كانت متفرّقة «٤» في تضاعيف النّصوص، و كلام الكاملين من العلماء العاملين، لكن لا يكاد تجتمع أطرافه إلاّ عند قليل من الأماجد، و لا يطّلع على معادنه إلاّ واحد بعد واحد، فشاركتهم في مثوبته؛ بجمع أطرافه و مبانيه، و تهذيب ترتيبه، و تقريب معانيه، و صارت مع ذلك معزّزة «٥» للرّسالتين الشّريفتين اللّتين اشتملت إحداهما على واجبات الصّلاة، و هي «الألفيّة» «٦» و الاخرى على مندوباتها، و هي «النّفليّة» «٧» و هذه على أسرارها

---

(١) «د»: الصّلوات.

(٢) «د»: يترقّى.

(٣) «ح»: الامور.

(٤) «ب»: مفرّقة.

(٥) في بعض النّسخ: مقرّرة.

(٦) «الألفيّة» كتاب صغير يشتمل على بيان ألف واجب في الصّلاة، مرتّب على مقدّمة و ثلاثة فصول و خاتمة. و هو من مؤلّفات الشّهيد الأوّل الشّيخ محمّد بن مكّي العامليّ- قدس اللّه روحه- و على هذا الكتاب- رغم و جازته- شروح كثيرة؛ ذكر في الذّريعة ما يقرب من خمسين شرحا. و قد شرح الشّهيد الثّاني- قدّس اللّه روحه- هذا الكتاب ثلاث مرّات؛ فالشّرح الكبير اسمه: «المقاصد العليّة في شرح الألفيّة» و هو شرح كبير استدلاليّ، كتب الشّهيد أيضا عليه بعض الحواشي فيما بعد. و «الشّرح الوسيط» و اقتصر فيه على أهمّ المسائل، و لم يتوسّع فيه كثيرا. و «الشّرح الصّغير» و هو تعليقات و شروح و حواش فتوائيّة؛ كتبه لعمل المقلّدين الّذين يرجعون إليه في المسائل الشّرعيّة.

الذّريعة ٦: ٢٣ بتصرّف.

(٧) «النّفليّة» كتاب يشتمل على بيان ثلاثة آلاف نافلة في الصّلاة، و هو أيضا من مؤلّفات الشّهيد-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٦٧

القلبيّة، و سمّيتها بـ«التّنبيهات العليّة، على وظائف الصّلاة القلبيّة» و رتّبتها ترتيب القادمة؛ على مقدّمة، و فصول ثلاثة، و خاتمة.

- الأوّل، ألّفه بعد «الألفيّة»، و عليه- هو الآخر- شروح كثيرة، منها: شرح الشّهيد الثّاني المسمّى بـ«الفوائد الملكيّة» و هو شرح مزجيّ مختصر، و ربّما تطرّق إلى استعراض بعض الأدلّة.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٦٩

المقدّمة

أمّا المقدّمة؛ فتشتمل على ثلاثة مطالب.

[المطلب الاول: فى تحقيق معنى القلب]

الأوّل: في تحقيق معنى القلب الّذي ينبغي إحضاره في أوقات العبادات، و بسببه تتفاوت مراتب العبادات «١» في

الدّرجات.

اعلم أنّ القلب يطلق على معنيين:

أحدهما: اللّحم الصّنوبريّ الشّكل، المودع في الجانب الأيسر من الصّدر، و هو لحم مخصوص، و في باطنه تجويف، و في ذلك التّجويف دم أسود، و هو منبع الرّوح و معدنه. و هذا المعنى من القلب موجود للبهائم، بل للميّت، و ليس هو المراد في هذا الباب و نظائره.

و المعنى الثّاني: لطيفة ربّانيّة روحانيّة، لها بهذا القلب الجسمانيّ تعلّق، و تلك اللّطيفة هي المعبّر عنها بـ «القلب» تارة، و بـ «النّفس» اخرى، و بـ «الرّوح» اخرى، و بـ «الإنسان» أيضا. و هي المدرك بالعالم «٢»، العارف «٣»، و هي المخاطب، و المطالب، و المعاتب، و لها علاقة مع القلب الجسدانيّ «٤»، و قد تحير «٥»

---

(١) «د»: العبادة، «م»، العباد.

(٢) «د» «م»: العالم، «ب»: لعالم.

(٣) «ب»: المعارف.

(٤) «ب»: الجسمانيّ.

(٥) «ب»: تحيّرت.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٠

عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، و أنّ تعلّقه به يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام، و الأوصاف بالموصوفات، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان. و شرح ذلك يخرج عن غرض الرّسالة.

و حيث يطلق القلب في الكتاب و السّنّة؛ فالمراد منه هذا المعنى الّذي يفقه و يعلم، و قد يكنّى عنه بـ«القلب في الصّدر» كما قال اللّه تعالى: «فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» «١» و ذلك لما عرفت من العلاقة الواقعة بينه و بين جسم القلب، فإنّها و إن كانت متعلّقة بسائر البدن، و مستعملة له، و لكنّها تتعلّق به بواسطة القلب، فتعلّقها الأوّل بالقلب و كأنّه محلّه، و

مملكته، و عالمه، و مطيّته.

و لذلك شبّه بعض العلماء القلب بالعرش، و الصّدر بالكرسيّ، و أراد به أنّه مملكته، و المجري الأوّل لتدبيره و تصرّفه، فهما بالنّسبة إليه كالعرش و الكرسيّ بالنّسبة إلى اللّه تعالى، و لا يستقيم هذا التّشبيه إلاّ من بعض الوجوه؛ كما لا يخفى.

و هذا المعنى من القلب في الجسد بمنزلة الملك، و له فيه جنود و أعوان، و أضداد و أوصاف، و له قبول للإشراق و الظّلمة، كالمرآة الصّافية الّتي تقبل انطباع الصّور و الأشكال المقابلة لها، و تقبل الظّلمة و الفساد «٢»، و البعد عن الأعداد لذلك، بسبب العوارض الخارجيّة المنافية لجوهرها، و ربّما وصل إشراقه و استنارته إلى حدّ يحصل فيه جليّة الحقّ، و تنكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب.

و إلى مثل هذا القلب الإشارة «٣» بقوله صلّى اللّه عليه و آله: (إذا أراد اللّه بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه) «٤».

(١) الحج: ٤٦.

(٢) «ب»: الإفساد.

(٣) «د» «م»: أشار.

(٤) نهج الفصاحة: ٢٩ حديث ١٥٤، كنز العمّال ١١: ٩٥ حديث ٣٠٧٦٢.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧١

و بقوله صلّى اللّه عليه و آله: (من كان له من قلبه واعظ، كان عليه من اللّه حافظ) «١».

و مثال الآثار المذمومة الواصلة إليه المانعة له من الاستنارة و قبول الأسرار؛ مثال «٢» دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة، و لا يزال يتراكم عليه مرّة بعد اخرى، إلى أن يسودّ و يظلمّ، و يصير بالكلّيّة محجوبا عن اللّه تعالى، و هو الطّبع و الرّين الّذين أشار اللّه تعالى إليهما في قوله: «أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ» «٣» ربط عدم السّماع و الطّبع بالذّنوب، كما ربط السّماع بالتّقوى في قوله تعالى: «وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ

اسمعوا» «٤» «وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ» «٥».

و قال اللّه تعالى: «كَلاَّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ» «٦» فمهما تراكمت الذّنوب طبع على القلب، و عند ذلك يعمى عن إدراك الحقّ و صلاح الدّين، و يتهاون بالآخرة، و يستعظم أمر الدّنيا، و يصير مقصور الهمّ عليه، و إذا قرع سمعه أمر الآخرة و ما فيها من الأخطار، دخل من اذن و خرج من الاخرى «٧»، و لم يستقرّ في القلب، و لم يحرّكه «٨» إلى التّوبة و التّدارك.

و هذا هو معنى اسوداد القلب بالذّنوب: كما نطق به القرآن و السّنّة؛ كما في قوله صلّى اللّه عليه و آله: (قلب المؤمن أجرد، فيه سراج يزهر، و قلب الكافر

---

(١) سفينة البحار ١: ٦١٣.

(٢) «ب»: مثل.

(٣) الأعراف: ١٠٠.

(٤) المائدة: ١٠٨.

(٥) البقرة: ٢٨٢.

(٦) المطفّفين: ١٤.

(٧) «ب»: اخرى.

(٨) «م»: يحرّك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٢

أسود، منكوس) «١».

و قول الباقر عليه السّلام: (إنّ القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير؛ و هو قلب الكافر، و قلب فيه نكتة سوداء؛ فالخير و الشّرّ فيه يختلجان؛ فأيّهما [كانت منه] «٢» غلب عليه، و قلب مفتوح فيه مصابيح تزهر، لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة؛ [و هو قلب المؤمن] «٣» «٤».

فانظر إلى قوله عليه السّلام: (لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة) فإنّ هذا حكم نور القلب بالمعنى الثّاني، لأنّه باق و إن خرب البدن، بخلاف الأوّل: كما حقّق في موضع آخر.

و روى زرارة «٥» عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: (ما من

عبد إلاّ و في قلبه نقطة بيضاء، فإن أذنب ذنبا خرج في «٦» النّكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السّواد، و إن تمادى في الذّنوب زاد ذلك السّواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا، و هو قول اللّه عزّ و جل «كَلاَّ بَلْ رٰانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ» «٧» «٨».

---

(١) مسند أحمد ٣: ١٧، بحار الأنوار ٧٠: ٥٩ و فيه: يزهو.

(٢) «م»: كان فيه.

(٣) أضفناه من المصدر.

(٤) الكافي ٢: ٤٢٣ حديث ٣ و فيه: يعتلجان، بحار الأنوار ٧٠: ٥١ بتفاوت يسير.

(٥) زرارة بن أعين بن سنسن، و قيل: سنبس؛ قال ابن النّديم: زرارة لقب، و اسمه: عبد ربّه بن أعين، أبو عليّ: أكبر رجال الشّيعة فقها، و حديثا، و معرفة بالكلام و التّشيّع. و قال النّجاشيّ: شيخ أصحابنا في زمانه، و متقدّمهم، و كان قارئا، فقيها، متكلّما، شاعرا، أديبا. عدّه الشّيخ الطّوسيّ في رجاله تارة من أصحاب الإمام الباقر عليه السّلام، و اخرى من أصحاب الإمام الصّادق عليه السّلام، و ثالثة من أصحاب

الإمام الكاظم عليه السّلام. مات سنة ١٥٠ هـ رجال النّجاشيّ: ١٧٥، رجال الطوسيّ: ١٢٣، ٣٠١، ٣٥٠، الفهرست لابن النّديم: ٣٠٨، تنقيح المقال ١: ٤٣٨.

(٦) «د»: من.

(٧) المطفّفين: ١٤.

(٨) الكافي ٢: ٢٧٣ حديث ٢٠، نوادر الرّاونديّ ٥: ٥٣٢.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٣

و قال اللّه تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» «١» فأخبر أنّ جلاء القلب يحصل بالذّكر، و أنّ المتّقين هم المتذكّرون؛ فالتّقوى: باب الذّكر، و الذّكر: باب الكشف، و الكشف: باب الفوز الأكبر.

و اعلم أنّ القلب مثاله مثال حصن، و الشّيطان عدوّ يريد أن يدخل الحصن و يملكه «٢» و يستولي عليه، و لا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ إلاّ بحراسة أبواب الحصن و مداخله و مواقع تهمه. فينبغي الاهتمام بمعرفة ذلك، و

تفصيله ممّا يطول الكلام فيه، و يخرج عن الغرض.

و الأمر الجامع له: الإقبال على اللّه تعالى، و تخيّل «٣» أنّك «٤» واقف بين يديه؛ فإن لم تكن تراه فإنّه يراك؛ كما ورد في الخبر «٥». فاذا أشعرت بذلك و تحقّقته، و عملت «٦» به انسدّت الأبواب دون وساوس اللّعين، و أقبل القلب على اللّه تعالى، و تفرّغ للعبادة، و قد ورد «٧» عن النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ العبد إذا اشتغل بالصّلاة جاءه الشّيطان و قال له اذكر كذا، اذكر كذا، حتّى يظلّ الرّجل أن يدري كم صلّى) «٨».

---

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) «م»: يهلكه.

(٣) «ح»: تخييل.

(٤) «ب» «م»: أنّه.

(٥) صحيح البخاري ١: ٢٠ باب سؤال جبرئيل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عن الإيمان و الإسلام و الاحسان و علم السّاعة، مسند أحمد ٢: ٤٢٦، عوالي اللّئالئ ١:

٤٠٥ حديث ٦٥، المحاسن ١: ٣ حديث ٣.

(٦) «م»: علمت.

(٧) «ب» «د» «م»: روي.

(٨) ورد ما يناسب ذلك في الوسائل ٥: ٣٢٩ الباب ١٦ من أبواب الخلل الواقع في الصّلاة.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٤

و من هنا «١» ظهر لك أنّ مجرّد التّلفّظ بالذّكر باللّسان ليس هو الزّاجر للشّيطان، بل لا بدّ معه من عمارة القلب بالتّقوى، و تطهيره من الصّفات المذمومة الّتي هي أعوان إبليس و جنده «٢»، و إلاّ فالذّكر من أقوى مداخل الشّيطان، و كذلك غيره من العبادات؛ و لذلك قال اللّه تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذٰا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ مِنَ الشَّيْطٰانِ تَذَكَّرُوا فَإِذٰا هُمْ مُبْصِرُونَ» «٣».

فخصّص ذلك بالمتّقي.

و تأمّل أنت في منتهى ذكرك و عبادتك و أفضل أعمالك و

هو الصّلاة فليس الخبر كالعيان، فراقب قلبك إذا كنت في الصّلاة كيف [يتجاذبه «٤» الشّيطان] «٥» في الأسواق و البساتين و حساب المعاملين «٦» و جواب المعاندين و غيرهم، و كيف يمرّ «٧» بك في أودية الدّنيا و مهالكها، حتّى أنّك لا تتذكّر «٨» ما نسيته من فضول الدّنيا إلاّ في صلاتك، و لا [يزدحم الشّيطان] «٩» على قلبك إلاّ إذا صلّيت، فلا جرم لا يطرد عنك الشّيطان بمجرّد صورة العبادة، و إن تأدّى بها الواجب عليك «١٠»، و خرجت من عهدة الأمر الإلهيّ، بل لا بدّ في دفعه- مع ذلك- من اصول اخر،

---

(١) «ب» «د» «م»: هاهنا.

(٢) «ح»: جنوده.

(٣) الأعراف: ٢٠١.

(٤) «د» «م»: تتجاذبه.

(٥) «ب» «د»: الشّياطين.

(٦) «د» «ب»: العالمين.

(٧) «د» «م»: تمرّ.

(٨) «م»: تذكر.

(٩) «ب» «م»: تزدحم الشّياطين.

(١٠) ليست في «م».

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٥

و إصلاح الباطن من الرّذائل الّتي هي أعوانه و جنده، و إلاّ لم يزد «١» إلاّ ضررا «٢»؛ كما أنّ الدّواء قبل الاحتماء «٣» لا يزيد المريض إلاّ مرضا و ألما.

ثمّ بعد ذلك يتّصف بالفضائل، و حينئذ يصير قلبه قابلا للإقبال، مشفقا من التّفريط و الإهمال، قال اللّه تعالى: «أَلاٰ بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» «٤».

فاجعل هذه العلامة بينك و بين استقامة قلبك و إقباله.

أوقفنا «٥» اللّه و إيّاك على بساط الاستقامة بمحمّد و آله، و لنقتصر من بحث القلب على هذا القدر، مناسبة للاختصار.

(١) «ب»: تزد.

(٢) «م»: أضرارا.

(٣) «م»: احتمائه.

(٤) الرّعد: ٢٨.

(٥) «م»: وفّقنا.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٦

المطلب الثّاني [: فى الاستشهاد على ما ينبغى من احضار القلب فى حال العبادة]

في الاستشهاد على ما ينبغي من إحضار القلب في حال العبادة، سيّما الصّلاة الّتي هي عمود الدّين، و رأس الأعمال. قال اللّه تعالى: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ» «١» و قال تعالى:

«فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ» «٢» ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين، لا لأنّهم سهوا

عنها و تركوها.

و قال تعالى: «وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» «٣» أي: يفعلونه في حال و جل قلوبهم، و الاتّصاف بالوجل حالة العمل مستلزم لحضور القلب على أتمّ وجه.

و قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (الصّلاة ميزان، من و فى استوفى) «٤».

و قال صلّى اللّه عليه و آله: (اعبد اللّه كأنّك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنّه يراك) «٥».

---

(١) المؤمنون: ٢.

(٢) الماعون: ٥.

(٣) المؤمنون: ٦٠.

(٤) إحياء علوم الدّين ١: ٢٦٤، الكافي ٣: ٢٦٧ حديث ١٣، الفقيه ١: ٣٣ حديث ٦٢٢، الوسائل ٣:

٢٢ الباب ٨ من أبواب أعداد الفرائض و نوافلها، الحديث ٨

(٥) عوالي اللّئالي ١: ٤٠٥ حديث ٦٥، المحاسن ١: ٣ حديث

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٧

و قال صلّى اللّه عليه و آله في فضل إتمامها: (إنّ الرّجلين من امّتي يقومان في الصّلاة و ركوعهما و سجودهما واحد، و انّ ما بين صلاتيهما ما بين السّماء و الأرض) «١».

و قال صلّى اللّه عليه و آله: (أما يخاف الّذي يحوّل وجهه في الصّلاة أن يحوّل اللّه وجهه وجه حمار) «٢».

و قال صلّى اللّه عليه و آله: (من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدّنيا، غفر اللّه له ذنوبه) «٣».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله: (من حبس نفسه في صلاة فريضه فأتمّ ركوعها و سجودها و خشوعها ثمّ مجّد اللّه عزّ و جلّ و عظّمه و حمّده حتّى يدخل وقت صلاة اخرى لم يلغ بينهما، كتب اللّه له كأجر الحاج المعتمر، و كان من أهل علّيين) «٤».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ من الصّلاة لما يقبل نصفها و ثلثها و ربعها و خمسها، إلى العشر، و إنّ منها لما تلفّ «٥»

كما يلفّ الثّوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، و ان مالك من صلاتك الاّ ما أقبلت عليه بقلبك) «٦».

و عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: (قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إذا قام العبد المؤمن في صلاته، نظر اللّه إليه- أو قال- أقبل اللّه عليه حتّى ينصرف،

---

(١) إحياء علوم الدّين ١: ٢٦٤، عوالي اللّئالئ ١: ٣٢٢ حديث ٥٧، المحجّة البيضاء ١: ٣٤١.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٢٦٤، مسند أحمد ٢: ٤٧٢، ٢٦٠، ٤٦٩، ٥٠٤، ٤٥٦ و اللّفظ فيه: (أما يخاف الّذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل رأسه رأس حمار). عوالي اللّئالئ ١: ٣٢٢ حديث ٥٨.

(٣) ثواب الأعمال: ٤٤، عوالي اللّئالئ ١: ٣٢٣ حديث ٥٩.

(٤) الفقيه ١: ١٣٦ حديث ٦٤٢، المحجّة البيضاء ١: ٣٤٠.

(٥) «ب» «د»: يلفّ.

(٦) عوالي اللّئالئ ١: ٤١١ حديث ٧٨ بتفاوت يسير، و أورد في الوسائل شطرا منه ج ٤: ٦٨٧ الباب ٣ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٨

و أظلّته الرّحمة من فوق رأسه إلى افق السّماء، و الملائكة تحفّه من حوله إلى افق السّماء، و وكّل اللّه به ملكا قائما على رأسه، يقول: أيّها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك و من تناجي ما التفتّ و لا زلت من موضعك أبدا) «١».

و قال الصّادق عليه السّلام: (لا تجتمع الرّغبة و الرّهبة في قلب إلاّ وجبت له الجنّة، فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على اللّه عزّ و جلّ، فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على اللّه عزّ و جلّ في صلاته و دعائه، إلاّ أقبل اللّه عليه بقلوب المؤمنين [إليه] «٢» و أيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة) «٣».

و عن أبي حمزة الثّمالي «٤»، قال: رأيت عليّ بن الحسين عليه «٥» السّلام يصلّي، فسقط رداؤه عن منكبه، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته، قال: فسألته عن ذلك، فقال: (ويحك، أ تدري بين يدي من كنت؟ إنّ العبد لا يقبل منه صلاة إلاّ ما أقبل فيها) «٦» فقلت: جعلت فداك، هلكنا؟ فقال: (كلاّ، إنّ

اللّه يتمّ «٧» ذلك بالنّوافل) «٨».

---

(١) الكافي ٣: ٢٦٥ حديث ٥، الوسائل ٣: ٢١ الباب ٨ من أبواب أعداد الفرائض، الحديث ٥.

(٢) أضفناه من المصدر.

(٣) الفقيه ١: ١٣٥ حديث ٦٣٢، الوسائل ٤: ٦٨٧ الباب ٣ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ٣.

(٤) هو: ثابت بن أبي صفيّة: أبو حمزة الثّماليّ، و اسم أبي صفيّة: دينار، مولى، كوفيّ، ثقة، لقي عليّ بن الحسين، و أبا جعفر، و أبا عبد اللّه، و أبا الحسن عليهم السّلام، و كان من خيار أصحابنا و ثقاتهم و معتمديهم، قاله النّجاشيّ. عدّه الشّيخ الطّوسيّ في رجاله من أصحاب الأئمّة: السّجّاد، و الباقر، و الصّادق عليهم السّلام، و قال عند تعداده في أصحاب الإمام الكاظم عليه السّلام: اختلف في بقائه إلى وقت أبي الحسن موسى عليه السّلام. مات سنة ١٥٠ هـ رجال النّجاشيّ: ١١٥، رجال الطّوسي: ٨٤، ١١٠، ١٦٠، ٣٤٥.

(٥) «ب» «د»: عليهما.

(٦) «ب»: عليها، و في المصدر: منها.

(٧) في الوسائل: متمّم، و في التّهذيب: يتمّم.

(٨) علل الشّرائع: ٢٣٢ حديث ٨، التّهذيب ٢: ٣٤٢ حديث ١٤١٥ و فيه: رداه عن منكبيه، الوسائل ٤: ٦٨٨ الباب ٣ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ٦.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٧٩

و عن الفضيل بن يسار «١»، عن أبي جعفر و أبي عبد اللّه عليهما السّلام؛ أنّهما قالا: (إنّما لك من صلاتك إلاّ ما أقبلت عليه فيها، فإن أوهمها كلها أو غفل عن أدائها «٢»، لفّت فضرب بها وجه صاحبها) «٣».

و روى زرارة، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: (إذا قمت في الصّلاة فعليك بالإقبال على صلاتك، فإنّما لك منها إلاّ ما أقبلت عليه «٤» و لا تعبث فيها بيديك، و لا برأسك، و لا بلحيتك، و لا تحدّث نفسك، و لا تتثاءّب فيها، و لا تتمطّ ...) «٥».

و روى الحلبيّ «٦»، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام، قال: (إذا كنت في صلاتك، فعليك بالخشوع و الإقبال على

صلاتك، فإنّ الله تعالى يقول: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خٰاشِعُونَ» (٧) (٨).

---

(١) أبو القاسم: الفضيل بن يسار النّهديّ، أصله كوفيّ، نزيل البصرة، ثقة، و ممّن أجمعت العصابة على تصديقه. و قيل: يكنّى: أبا ميسور، من أصحاب الإمامين الباقر و الصّادق عليهما السّلام، و مات في أيّامه. رجال النّجاشيّ: ٣٠٩، رجال الطّوسيّ: ١٣٢، ٢٧١ رجال الكشّيّ: ٢٣٨.

(٢) «ح» «م» «د»: آدابها.

(٣) الكافي ٣: ٣٦٣ حديث ٤، التّهذيب ٢: ٣٤٢ حديث ١٤١٧، الوسائل ٤: ٦٨٧ الباب ٣ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ١.

(٤) «ح» «د» زيادة: بقلبك.

(٥) الكافي ٣: ٢٩٩ حديث ١، الوسائل ٤: ٦٧٧ الباب ١ من ابواب أفعال الصّلاة، الحديث ٥.

(٦) هو: عبيد اللّه بن عليّ بن أبي شعبة الحلبيّ، مولى بني تيم اللاّت بن ثعلبة؛ أبو عليّ، كوفيّ، يتّجر هو و أبوه و إخوته إلى حلب؛ فغلب عليهم النّسبة إلى حلب. و آل أبي شعبة بالكوفة بيت مذكور من اصحابنا، و روى جدّهم أبو شعبة عن الحسن و

الحسين عليهما السّلام، و كانوا جميعهم ثقاة، و كان عبيد اللّه كبيرهم و وجههم، صنّف الكتاب المنسوب إليه و عرضه على الصّادق عليه السّلام و صحّحه و استحسنه، و قال عند قراءته: (ليس لهؤلاء في الفقه مثله) و هو أوّل كتاب صنّفه الشّيعة. عدّه الشّيخ الطّوسيّ من أصحاب الإمام الصّادق عليه السّلام. رجال النجّاشيّ: ٢٣٠، رجال الطّوسيّ: ٣٢٩، الفهرست: ١٠٦، جامع الرّواة ١: ٥٢٩، تنقيح المقال ٢: ٣٤٠.

(٧) المؤمنون: ٢.

(٨) الكافي ٣: ٣٠٠ حديث ٣، الوسائل ٤: ٦٨٤ الباب ٢ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٠

و عنه عليه السّلام قال: (كان عليّ بن الحسين عليه «١» السّلام إذا قام إلى الصّلاة تغيّر لونه، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفضّ عرقا) «٢».

و (كان عليه السّلام إذا قام في الصّلاة كأنّه ساق شجرة؛ لا يتحرّك منه إلاّ ما حرّكت الرّيح منه) «٣».

و عن أبي جعفر عليه السّلام قال: (إنّ أوّل ما يحاسب به العبد الصّلاة، فإن قبلت قبل ما سواها؛ إنّ الصّلاة إذا ارتفعت في [أوّل] «٤» وقتها رجعت إلى صاحبها و هي بيضاء مشرقة، تقول: حفظتني، حفظك اللّه، و إذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها و هي سوداء مظلمة، تقول: ضيّعتني ضيّعك اللّه) «٥».

و روى العيص بن القاسم «٦»، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: (و اللّه إنّه ليأتي على الرّجل خمسون سنة و ما قبل اللّه منه صلاة واحدة، فأيّ شيء أشدّ من هذا؟ و اللّه إنّكم لتعرفون من جيرانكم و أصحابكم من لو كان يصلّي لبعضكم ما قبلها منه، لاستخفافه بها، إنّ اللّه [عزّ و جلّ] «٧» لا يقبل إلاّ الحسن، فكيف يقبل

---

(١) «د»: عليهما.

(٢) الكافي ٣: ٣٠٠ حديث ٥، التّهذيب ٢: ٢٨٦ حديث ١١٤٥، الوسائل ٤: ٦٨٥ الباب ٢ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ٢.

(٣) الكافي ٣: ٣٠٠ حديث ٤، الوسائل ٤: ٦٨٥ الباب ٢ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ٣ و فيه: لا يتحرّك منه شيء إلاّ ما حرّكت ...

(٤) أضفناه من المصدر.

(٥) الكافي ٣: ٢٦٨ حديث ٤، التّهذيب ٢: ٢٣٩ حديث ٩٤٦، الوسائل ٣: ٧٨ الباب ١ من أبواب المواقيت، الحديث ٢.

(٦) هو: عيص بن القاسم بن ثابت بن عبيد بن مهران البجليّ الكوفيّ؛ يكنّى: أبا القاسم، ثقة، عين، روى عن أبي عبد اللّه، و أبي الحسن موسى عليه السّلام. رجال النّجاشيّ: ٣٠٢، رجال الطّوسيّ: ٢٦٤، رجال الكشّيّ: ٣٦١، رجال العلاّمة: ١٣١.

(٧) ليست في المصدر.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨١

ما يستخفّ به؟!) «١».

و عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام: (إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يقول: طوبى لمن أخلص للّه العبادة و الدّعاء، و لم يشغل قلبه بما ترى عيناه، و لم ينس ذكر اللّه بما تسمع

اذناه، و لم يحزن صدره بما اعطي غيره) «٢».

و روى سفيان بن عيينة «٣»، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام في قوله «٤» عزّ و جلّ «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» «٥» قال: (ليس يعني أكثر عملا، و لكن أصوبكم عملا، و إنّما الإصابة خشية اللّه تعالى، و النّيّة الصّادقة و الحسنة) ثمّ قال:

(الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، و العمل الخالص: الّذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلاّ اللّه عزّ و جلّ، و النّيّة أفضل من العمل، ألا و إنّ النّيّة هي العمل) ثمّ تلا قوله عزّ و جلّ: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ» «٦» يعني على نيّته «٧».

و بهذا الإسناد قال: سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ: «إِلاَّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» «٨» قال: (السّليم الّذي يلقى ربّه و ليس فيه أحد سواه) و قال: (و كلّ قلب

---

(١) الكافي ٣: ٢٦٩ حديث ٩، التّهذيب ٢: ٢٤٠ حديث ٩٤٩، الوسائل ٣: ١٥ الباب

٦ من أبواب أعداد الفرائض و نوافلها، الحديث ٢.

(٢) الكافي ٢: ١٦ حديث ٣، الوسائل ١: ٤٣ الباب ٨ من أبواب مقدّمة العبادات، حديث ٣.

(٣) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلاليّ، كان جدّه أبو عمران عاملا من عمّال خالد القسريّ، له نسخة عن جعفر بن محمّد عليه السّلام. عدّه الشّيخ الطّوسيّ في رجاله من أصحاب الإمام الصّادق عليه السّلام؛ قائلا: سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلاليّ مولاهم أبو محمّد الكوفيّ، أقام بمكّة.

رجال النّجاشيّ: ١٩٠، رجال الطّوسيّ: ٢١٢.

(٤) «ح»: قول اللّه.

(٥) هود: ٧، الملك: ٢.

(٦) الإسراء: ٨٤.

(٧) الكافي ٢: ١٦ حديث ٤.

(٨) الشّعراء: ٨٨.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٢

فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، و إنّما أراد بالزّهد في الدّنيا،

لتفزع قلوبهم للآخرة) «١».

و عن أبان بن تغلب «٢» قال: كنت صلّيت خلف أبي عبد اللّه عليه السّلام بالمزدلفة، فلمّا انصرف التفت إليّ، فقال: (يا أبان، الصّلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنّ و حافظ على مواقيتهنّ أتى «٣» اللّه يوم القيامة و له عنده عهد يدخله به الجنّة، و من لم يقم حدودهنّ و لم يحافظ على مواقيتهنّ لقى اللّه و لا عهد له؛ إن شاء عذّبه، و إن شاء غفر له) «٤».

و الأخبار في ذلك كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر.

و اعلم أنّه قد استفيد منها أنّ قبول الصّلاة موقوف على الإقبال بالقلب بها، و الالتفات عمّا سوى اللّه فيها، و أنّ قبولها يوجب قبول ما سواها من الأعمال، و حينئذ فالاهتمام بهذه الصّفة أمر مهمّ، و الغفلة عنها خسارة عظيمة، و انحطاط قويّ، و غفلة رديّة، حيث يدأب نفسه في الطّاعة، و يقوم بها آناء اللّيل و أطراف النّهار، ثمّ لا يجد له بذلك ثمرة، و لا يستفيد به فائدة: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ

بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

---

(١) الكافي ٣: ١٦ حديث ٥.

(٢) هو: أبان بن تغلب بن رباح؛ أبو سعيد البكريّ الجريري، مولى بني جرير بن عبادة ... عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي عليّ بن الحسين و أبا جعفر و أبا عبد اللّه عليهم السّلام، روى عنهم، و كانت له عندهم منزلة و قدم ... و قال له أبو جعفر [الباقر] عليه السّلام: (اجلس في مسجد المدينة و أفت الناس؛ فإنّي احبّ أن يرى في شيعتي مثلك) و قال أبو عبد اللّه [الصادق] عليه السّلام لمّا أتاه نعيه: (أما و اللّه لقد أوجع قلبي موت أبان)، و كان قارئا من وجوه القرّاء، فقيها، لغويّا، سمع من العرب و حكى عنهم. عدّه الشّيخ الطّوسيّ تارة من أصحاب الإمام الباقر عليه السّلام، و اخرى من أصحاب الإمام الصّادق عليه السّلام. رجال النّجاشيّ: ١٠، رجال الطّوسيّ: ١٠٦، ١٥١.

(٣) في المصادر: لقي.

(٤) الكافي ٣: ٢٦٧ حديث ١، التّهذيب ٣: ٢٣٩ حديث ٩٤٥، الوسائل ٣: ٧٨ الباب ١ من أبواب المواقيت، الحديث ١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٣

صُنْعاً» «١» خصوصا إذا انضمّ إلى ذلك ما روي: (إنّ الصّلاة إذا ردّت ردّ سائر عمله، كما أنّها إذا قبلت قبل سائر عمله) «٢». فنسأل اللّه تعالى أن يمنّ علينا من فضله العميم بدوام الإقبال، و قبول الأعمال.

---

(١) الكهف: ١٠٣.

(٢) الفقيه ١: ٢٠٨ حديث ٦٢٦، الوسائل ٣: ٢٢ الباب ١٨ من أبواب أعداد الفرائض، الحديث ١٠.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٤

المطلب الثّالث [: فى بيان النافع فى حضور القلب]

في بيان الدّواء النّافع في حضور القلب.

اعلم أنّ المؤمن لا بدّ أن يكون معظّما للّه تعالى، و خائفا له، و راجيا، و مستحييا «١» من تقصيره، فلا ينفكّ عن هذه

الأحوال بعد إيمانه، و إن كانت قوّتها عنده بقدر قوّة يقينه، فانفكاكه عنها في الصّلاة لا سبب له إلاّ تفرّق الفكر، و تقسّم الخاطر، و غيبة القلب عن المناجاة و الغفلة عن الصّلاة، و لا يلهي عن الصّلاة إلاّ الخواطر الواردة الشّاغلة.

فالدّواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر، و لا يدفع الشّيء إلاّ بدفع سببه، و سبب توارد الخواطر: إمّا أن يكون أمرا خارجا، أو أمرا في ذاته باطنا.

أمّا الخارج؛ فما يقرع السّمع أو يظهر للبصر، فإنّ ذلك قد يخطف الهمّ حتّى يتبعه، و يتصرّف فيه، ثمّ ينجرّ منه «٢» الفكر إلى غيره، و يتسلسل و يكون الإبصار سببا للافتكار «٣»، ثمّ يصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض الآخر، و من قويت رتبته، و علت همّته، لم يلهه ما يجري على حواسّه، و لكنّ الضّعيف لا بدّ و أن يتفرّق به فكره.

---

(١) «م»: مستحيا.

(٢) «ح»: من.

(٣) «ح» «م»: للأفكار.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٥

فعلاجه: قطع هذه الأسباب؛ بأن يغضّ بصره، أو يصلّي في بيت مظلم، أولا «١» يترك بين يديه ما يشغل حسّه، أو «٢» يقرب من حائط عند صلاته حتّى لا تتّسع مسافة بصره، و يحترز من الصّلاة على الشّوارع، و في المواضع المنقوشة المصنوعة، و على الفرش «٣» المزيّنة، و لذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم، سعته بقدر ما يمكن الصّلاة فيه، ليكون ذلك أجمع للهمّ «٤».

و ينبغي أن لا يعدل إلى غمض «٥» العينين ما وجد السّبيل إلى القيام بوظيفة النّظر، و هي جعله قائما إلى موضع سجوده و غيره من الامور المعلومة شرعا، فإن تعذّر القيام بها مع فتحهما، فالغمض أولى، لأنّ الفائت من وظيفة الصّلاة و صفتها بتقسّم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النّظر «٦».

و ليحظر بباله عند نظره إلى موضع سجوده أنّه واقف بين يدي ملك عظيم يراه و يطّلع على سريرته و باطن قلبه، و إن كان هو لا يراه، و أنّ التّوجّه إليه لا يكون إلاّ بوجه القلب، و وجه الرّأس مثال و مضاف بالتّبع، و أنّه يخاف إن ولاّه ظهر قلبه أن يطرده عن باب كرمه، و يسلبه «٧» مقام خدمته، و يبعده عن جناب قدسه، و مقدّس حضرته.

---

(١) «ب»: و ألاّ.

(٢) «ب» «د» «م»: و.

(٣) «د»: الفراش.

(٤) «ح» «د»: لهم.

(٥) «ب» «ح» «م»: غضّ.

(٦) قال المحدّث الفيض الكاشاني تعليقا على هذا:

و يمكن أن يقال: إنّ الغضّ الّذي هو من خشوع الجوارح المأمور به يغني عن الغمض؛ فلا حاجة إلى ترك السّنّة من وظيفة النّظر، اللّهمّ إلاّ أن يشتغل بالتّأمّل في موضع سجوده و ما بين قدميه و نحوهما؛ فحينئذ لا يبعد ما قاله رحمه اللّه. المحجّة البيضاء

١: ٣٧٤.

(٧) «م» زيادة: عن.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٦

و كيف يليق بالعبد أن يقف بين يدي سيّده و يوله ظهره و يجعل فكره في غير ما يطلبه منه؟! لا «١» ريب في أنّ هذا العبد مستحقّ للخذلان، مستوجب للحرمان، في الشّاهد الخسيس، و القياس البعيد، فكيف في المقصد الأصليّ، و الملك الحقيقيّ؟!

و قد ورد في الحديث: (إنّ اللّه لا ينظر إلى صوركم، و لكن ينظر إلى قلوبكم) «٢» فبهذا و نظائره تجتمع «٣» الهمّة، و يصفو القلب، و ينحصر بالنّظر إلى الامور الخارجيّة.

و أمّا الأسباب الباطنة؛ فإنّها أشدّ، فإنّ من تشعّبت به الامور في أودية الدّنيا لم ينحصر «٤» فكره في فنّ واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، و غضّ البصر لا يعينه «٥»، فإنّ ما وقع في القلب كاف في الشّغل.

فهذا، طريقه: أن يردّ النّفس قهرا إلى فهم ما يقرأه «٦» في الصّلاة، و يشغلها به عن غيره. و يعينه على ذلك أن يستعدّ قبل التّحريم؛ بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة، و موقف المناجاة، و خطر المقام «٧» بين يدي اللّه تعالى و هول المطّلع، و يفرغ قلبه قبل التّحريم بالصّلاة عمّا يهمّه، فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره.

فهذا طريق تسكين الأفكار، فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدّواء المسكّن، فلا ينجيه إلاّ المسهّل الّذي يقمع مادّة الدّاء من أعماق العروق، و هو أن

---

(١) «ب»: و لا.

(٢) فيض القدير ٢: ٢٧٧ حديث ١٨٣٢.

(٣) «م»: تجمع.

(٤) «د» «ح» «ب»: يحضر.

(٥) في بعض النّسخ: يغنيه.

(٦) «م»: يقرأ.

(٧) «ح» «د»: القيام.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٧

ينظر في الامور الشّاغلة الصّارفة له عن إحضار «١» القلب، و لا شكّ أنّها تعود إلى مهمّاته، و أنّها إنّما صارت مهمّا بشهواته، فيعاقب نفسه بالنّزوع عن تلك الشّهوات، و قطع تلك العلائق، فكلّ ما يشغله عن صلاته، فهو ضدّ دينه، و جند إبليس عدوّه، فإمساكه أضرّ عليه من إخراجه، فيتخلّص «٢» عنه بإخراجه.

و قد روي أنّ بعضهم صلّى في حائط «٣» له فيه شجر، فأعجبه ريش طائر في الشّجر يلتمس مخرجا، فأتبعه نظره ساعة لم يذكر «٤» كم صلّى، فجعل حائطه صدقة، ندما و رجاءا للعوض عمّا فاته «٥»

و هكذا كانوا يفعلون قطعا «٦» لمادّة الفكر، و كفّارة لما جرى من نقصان الصّلاة.

و كان بعضهم إذا فاتته صلاة في جماعة، أحيى تلك اللّيلة.

و آخر آخّر صلاة المغرب حتّى يطلع كوكبان، فأعتق رقبتين.

و فات الآخر ركعتا الفجر، فأعتق رقبة. كلّ ذلك مجاهدة للنّفس، و مناقشة لها في الغفلة عمّا فيه حظّها.

فهذا هو الدّواء القامع لمادّة العلّة، و لا يغني غيره، فإنّ ما ذكرناه من التّلطّف بالتّسكين و الرّدّ إلى فهم الذّكر ينفع في الشّهوات الضّعيفة، و الهمم الّتي لا تشغل إلّا حواشي القلب.

فأمّا الشّهوة القويّة الرهفة «٧»، فلا ينفع منها التّسكين، بل لا تزال تجاذبها

---

(١) «د»: إحضاره.

(٢) «ب» فيخلص، «م»: فليتخلّص.

(٣) الحائط: البستان من النّخيل إذا كان عليه حائطا. مجمع البحرين ١: ٥٩٨ مادة (حوط).

(٤) «م»: يدر.

(٥) إحياء علوم الدّين ١: ٢٩٥، المحجّة البيضاء ١: ٣٧٦.

(٦) «م»: دفعا.

(٧) «ح» «د» «م»: المرهقة.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٨

و تجاذبك، ثمّ تغلبك و تنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة.

و مثاله: رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، و كانت أصوات العصافير تشوّش عليه، فلم يزل يطيّرها بخشبة هي في يده و يعود إلى فكره، فتعود العصافير، فيعود إلى التّنفير بالخشبة، فقيل له: إن أردت الخلاص، فاقلع الشّجرة «١».

فكذلك شجرة الشّهوة، إذا استعلت «٢» و تفرّقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار، و انجذاب الذّباب إلى الأقذار، و الشّغل يطول في دفعها، فإنّ الذّباب كلّما ذبّ آب، و لأجله سمّي ذبابا، فكذا الخواطر، فهذه الشّهوات كثيرة، و قلّما يخلو العبد عنها، و يجمعها أصل واحد، و هو «حبّ الدّنيا» و ذلك «رأس كلّ خطيئة»

«٣»، و أساس كلّ نقصان، و منبع كلّ فساد.

و من انطوى باطنه على حبّ الدّنيا حتّى مال إلى شيء منها لا ليتزوّد منها و يستعين بها على الآخرة، فلا يطمعنّ في أن تصفو له لذّة المناجاة في الصّلاة؛ فإنّ من فرح بالدّنيا، فلا يفرح باللّه و بمناجاته، و همّة الرّجل مع قرّة عينه، فإن كانت قرّة عينه في الدّنيا انصرف لا محالة إليها همّه.

و لكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة، و ردّ القلب إلى الصّلاة، و تقليل الأسباب الشّاغلة.

و أمّا من كانت الدّنيا معه و ليس هو معها، و إنّما يصرفها حيث أمره اللّه تعالى، و يستعين بها على طاعة اللّه، و يتزوّد منها إلى الآخرة و همّته مجتمعة فيما يبقى، و يجعلها من أسباب الكمال و مقدّماته، فلا بأس عليه، فقد قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (نعم العون على تقوى اللّه الغنى) «٤».

---

(١) إحياء علوم الدّين ١: ٢٩٥، المحجّة البيضاء ١: ٣٧٦.

(٢) «م» «ح»: استقلّت، «د»: اشتعلت.

(٣) الخصال ١: ٢٥ حديث ٨٧.

(٤) الفقيه ٣: ١٥٦ حديث ٣٥٧٠، الكافي ٥: ٧١ حديث ١، الوسائل ١٢: ١٦ الباب ٦، و ص ٤٩ الباب ٢٨ من أبواب مقدّمات التّجارة، الحديث ٣.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٨٩

إلاّ انّ ذلك محلّ الغرور، و موضع تلبيس إبليس عليه لعنة اللّه، فليحذر المستيقظ عند ذلك، و لا يزال يراجع عقله و يمتحن قلبه حذرا من أن يدخل عليه الخطر و الكدر و هو لا يشعر. و لا برهان على ذلك أقوى من الوجدان.

فهذا هو الدّواء، و لمرارته استبشعه أكثر الطّباع، و بقيت العلّة مزمنة، و صار الدّاء عضالا؛ حتّى أنّ الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدّثوا فيهما أنفسهم بامور الدّنيا، فعجزوا عن ذلك «١».

فإذن لا مطمع فيها لأمثالنا، و ليت يسلم «٢» من الصّلاة شطرها أو ثلثها عن الوسواس، فنكون ممّن خلطوا عملا صالحا و آخر سيّئا.

و على الجملة: فهمّة الدّنيا و همّة الآخرة في القلب مثل الماء الّذي يصبّ في قدح مملوّ بالخلّ، فبقدر ما يدخل من الماء يخرج من الخلّ، لا محالة، و لا يجتمعان، فتدبّر هذه الجملة وفّقك اللّه و إيّانا [إلى الرّشاد] «٣» و أوقفنا على مناهج السّداد، فهذا ما يتعلّق به الغرض من المقدّمة.

---

(١) إحياء علوم الدّين ١: ٢٩٦، المحجّة البيضاء ١: ٣٧٧.

(٢) «ب»: سلم.

(٣) «ب»: للرّشاد.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٩١

الفصل الأوّل فى المقدّمات [الصلاة]

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٩٣

الفصل الأوّل: في المقدّمات.

و هي واجبة و مندوبة.

فالواجبة: الطهارة، و إزالة النّجاسة، و ستر العورة، و المكان الّذي يصلّى فيه، و الوقت، و القبلة.

و المندوبة كثيرة؛ كالمسجد، و الأذان، و الإقامة، و التّوجّه بستّ تكبيرات.

و لكلّ واحدة من هذه المقدّمات وظائف قلبيّة، و أسرار خفيّة، يطّلع «١» عليها بصفاء العقل و حضور القلب، و ما نذكره من الوظائف كالمدرج إلى الزّيادة، و المرقاة إلى غيره من دقائق العبادة «٢».

[الاولى: فى اسرار اطهارة]

فأمّا الطّهارة؛ فليستحضر في قلبه أنّ تكليفه فيها بغسل الأطراف الظّاهرة و تنظيفها لاطّلاع النّاس عليها، و لكون تلك الأعضاء مباشرة للامور الدّنيويّة، منهمكة في الكدورات الدّنيّة، فلأن يطهر مع ذلك قلبه الّذي هو موضع نظر الحقّ تعالى، فإنّه لا ينظر إلى صوركم «٣»، و لكن ينظر إلى قلوبكم.

و لأنّه الرّئيس الأعظم لهذه الجوارح، و المستخدم لها في

تلك الأمور المبعّدة عن جنابه تعالى و تقدّس اولى و اخرى، بل هذا تنبيه واضح على ذلك، و بيان شاف على ما هنالك.

---

(١) «ب» «م»: يتطلّع.

(٢) «د»: العبادات.

(٣) «ب»: صورتكم.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٩٤

و ليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة اللّه تعالى و الإقبال عليه، و الالتفات عن الدّنيا بالقلب و احواس لتلقّي السّعادة في الاخرى: أنّ الدّنيا و الآخرة ضرّتان؛ كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الاخرى، فلذلك أمر «١» بالتّطهير من الدّنيا عند الاشتغال و الإقبال على الاخرى.

فأمر في الوضوء بغسل الوجه، لأنّ التّوجّه و الإقبال بوجه

القلب على اللّه تعالى به و فيه اكثر احواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدّنيا، فأمر بغسله ليتوجّه به، و هو خال من تلك الأدناس، و يترقّى بذلك إلى تطهير ما هو الرّكن الأعظم في القياس «٢».

ثمّ أمر بغسل اليدين، لمباشرتهما أكثر أحوال الدّنيا الدّنيّة و المشتهيات الطبيعيّة.

ثمّ بمسح الرّأس، لأنّ فيه القوّة المفكّرة «٣» الّتي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطّبيعيّة، و تنبعث الحواس حينئذ إلى الإقبال على الامور الدّنيويّة، المانع من الإقبال على الآخرة السّنيّة.

ثمّ بمسح الرّجلين، لأنّ بهما يتوصّل إلى مطالبه، و يتوصّل «٤» إلى تحصيل مآربه- على نحو ما ذكر في باقي الأعضاء- و حينئذ فيسوغ له الدّخول في العبادة، و الإقبال عليها فائزا بالسّعادة.

و أمر في الغسل بغسل جميع البشرة، لأنّ أدنى حالات الإنسان و أشدّها تعلّقا و تملّكا بالملكات الشّهويّة حالة

الجماع، و موجبات الغسل، و لجميع بدنه مدخل في تلك الحالة، و لهذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ تحت كلّ شعرة جنابة) «٥»

---

(١) «د»: امرت.

(٢) «ب»: النّاس.

(٣) «م»: المتفكّرة.

(٤) «ب»: يتوسّل.

(٥) سنن أبي داود ١: ٦٥ حديث ٢٤٨.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٩٥

فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبة العليّة، منغمسا في اللّذّات الدّنيّة، كان غسله أجمع من أهمّ المطالب الشّرعيّة، ليتأهّل لمقابلة الجهة الشّريفة، و الدّخول في العبادة المنيفة، و يبعد عن القوى الحيوانيّة، و اللّذّات الدّنياويّة.

و لمّا كان للقلب من ذلك الحظّ الأوفر، و النّصيب الأكمل،

كان الاشتغال بتطهيره من الرّذائل و التّوجّهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير تلك الأعضاء الظّاهرة عند اللّبيب العاقل.

و أمر في التّيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتّراب عند تعذّر غسلها بالماء الطّهور، وضعا لتلك الأعضاء الرّئيسة، و هضما لها بتلقّيها بأثر التّربة الخسيسة.

و هكذا يخطر أنّ القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرّذيلة، و تحليته «١» بالأوصاف الجميلة، فليقمه في مقام الهضم و الإزراء، و يسقه بسياط الذّلّ و الإغضاء، عسى أن يطّلع عليه مولاه الرّحيم و سيّده الكريم و هو منكسر متواضع؛ فيهبه نفحة من نفحات نوره اللاّمع، فإنّه عند القلوب المنكسرة- كما ورد في الأثر «٢»- فترقّ من هذه الإشارات و نحوها إلى ما يوجب لك الإقبال، و تلافي سالف الإهمال.

و من الأسرار الواردة في الأثر من نظائر ذلك: قول الصّادق عليه السّلام:

(إذا أردت الطهارة و الوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة اللّه، فإنّ اللّه تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته و مناجاته، و دليلا إلى بساط خدمته، و كما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد، كذلك النّجاسات الظّاهرة يطهّرها الماء لا غير «٣»، قال اللّه تعالى:

«وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» «٤» «وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً

---

(١) «ب»: تجليته.

(٢) انظر: الوسائل ٤: ١١٢٠- ١١٢٤ الباب ٢٨، ٢٩ من أبواب الدّعاء؛ فإنّ فيه ما يدلّ على ذلك.

(٣) «ب» «م»: غيره.

(٤) الأعراف: ٥٧.

طَهُوراً» «١» و قال عزّ و جلّ: «وَ جَعَلْنٰا مِنَ الْمٰاءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ» «٢» فكما أحيى به كلّ شيء من نعيم الدّنيا، كذلك بفضله و رحمته جعل حياة القلوب بالطّاعة و تفكّر في صفاء الماء و رقّته، و طهوره و بركته، و لطيف امتزاجه بكلّ شيء، و في كلّ شيء، و استعمله في تطهير الأعضاء الّتي أمرك اللّه بتطهيرها، و ات بأدائها «٣» فرائضه و سننه؛ فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب، ثمّ عاشر خلق اللّه تعالى كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي كلّ شيء حقّه و لا يتغيّر عن معناه، معتبرا لقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «مثل المؤمن الخاص كمثل الماء» و لتكن صفوتك مع اللّه تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السّماء [و سمّاه طهورا] «٤»؛ و طهّر قلبك بالتّقوى و اليقين عند طهارة جوارحك بالماء) «٥».

و في علل ابن شاذان «٦» عن الرّضا عليه السّلام: (إنّما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهرا إذا قام بين يدي الجبّار، عند مناجاته إيّاه مطيعا له فيما أمره، نقيّا من

(١) الفرقان: ٤٨.

(٢) الأنبياء: ٣٠.

(٣) «د» «م»: بآدابها.

(٤) ليست في المصدر.

(٥) مصباح الشّريعة: ٧٥، المحجّة البيضاء ١: ٣٠٧، المستدرك ١: ٣٥٣- ٣٥٤ باب نوادر ما يتعلّق بأبواب الوضوء.

(٦) هو: الفضل بن شاذان بن الخليل: أبو محمّد الأزديّ النّيسابوريّ، روى عن أبي جعفر الثّاني عليه السّلام، و قيل: عن الرّضا عليه السّلام أيضا، و كان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء و المتكلّمين، و له جلالة في هذه الطّائفة، و ذكر الكنجيّ أنّه صنّف مائة و ثمانين كتابا؛ لم يقع منها إلينا إلاّ بعضها.

عدّه الشّيخ الطّوسيّ في رجاله تارة من أصحاب الإمام الهاديّ عليه السّلام بعنوان النّيشابوريّ، و اخرى من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السّلام، بعنوان: النّيسابوريّ، كما ذكره في الفهرست؛ بعنوان النّيسابوريّ، و قال عنه: فقيه متكلّم، جليل القدر. رجال النّجاشيّ: ٣٠٧، رجال الطّوسيّ: ٤٢٠، ٤٣٤، الفهرست: ١٢٤.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٩٧

الأدناس و النّجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل و طرد النّعاس و تزكية الفؤاد للقيام بين يدي اجبّار.

و إنّما وجب على الوجه و اليدين و الرّأس و الرّجلين، لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار فإنّما ينكشف من جوارحه و يظهر ما وجب فيه الوضوء و ذلك انّه بوجهه يسجد و يخضع، و بيده يسأل و يرغب و يرهب و يتبتّل، و برأسه يستقبله في ركوعه و سجوده، و برجليه يقوم و يقعد.

و أمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء، لأنّ الجنابة من نفس الإنسان و هو شيء يخرج من جميع جسده، و الخلاء «١» ليس هو من نفس الإنسان إنّما هو غذاء يدخل من باب و يخرج من باب) «٢».

[الثانية: فى اسرار إزالة النجاسة]

و أمّا إزالة النّجاسة؛ فالكلام فيها نحو الكلام في الطّهارة في التّزكية «٣» بتطهير القلب من نجاسة الأخلاق و مساويها.

فإنّك إذا امرت بتطهير ظاهر الجلد و هو القشر، و بتطهير

الثّياب و هي أبعد عن ذاتك، فلا تغفل عن تطهير لبّك الّذي هو ذاتك و هو قلبك، فاجتهد له تطهيرا بالتّوبة و النّدم على ما فرّط، و تصميم العزم على ترك العود في المستقبل، و طهّر بها باطنك، فإنّها موقع نظر المعبود.

و تذكّر بتخليّك لقضاء الحاجة نقصك و حاجتك، و ما تشتمل عليه من الأقذار، و ما في باطنك و أنت تزيّن ظاهرك للنّاس، و أنّ اللّه تعالى مطّلع على خبث باطنك و خسّة حالك، فاشتغل بإخراج نجاسات الباطن و الأخلاق الدّاخلة في الأعماق المفسدة لك على الإطلاق لتستريح نفسك عند إخراجها، و يسكن قلبك من

---

(١) في المصدر: و التّخلّي.

(٢) عيون أخبار الرّضا ٢: ١٠٣.

(٣) «ب»: التّذكير، «م»: التّذكّر.

دنسها، و يخفّ لبّك من ثقلها، و تصلح للوقوف على بساط الخدمة، و التّأهّل «١» للمناجاة.

و لا تستر «٢» ما ظهر منك، فلا بدّ أن يظهر عليك ما بطن، لأنّ الطّبيعة تظهر ما يكنّ «٣» فيها، و تفتضح حينئذ بما سترته عن النّاس كما يفعله اللّه بكلّ مدلّس «٤»، قال الصّادق عليه السّلام: (سمّي المستراح مستراحا، لاستراحة النّفوس من أثقال النّجاسات، و استفراغ الكثيفات و القذر فيها، و المؤمن يعتبر عندها أنّ الخالص من حطام الدّنيا كذلك تصير عاقبته، فيستريح بالعدول عنها و تركها، و يفرّغ نفسه و قلبه عن شغلها، و يستنكف عن جمعها و أخذها استنكافه عن النّجاسة و الغائط و القذر، و يتفكّر في نفسه المكرمة في حال، كيف تصير ذليلة في حال، و يعلم أنّ التّمسّك بالقناعة و التّقوى يورث له راحة الدّارين، و أنّ الرّاحة في هوان الدّنيا، و الفراغ من التّمتّع بها، و في إزالة النّجاسة من الحرام و الشّبهه، فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إيّاها، و يفرّ من الذّنوب، و يفتح باب التّواضع و

النّدم و الحياء، و يجتهد في أداء أوامره، و اجتناب نواهيه، طلبا لحسن المآب، و طيب الزّلف، و يسجن نفسه في سجن الخوف و الصّبر و الكفّ عن الشّهوات إلى أن يتّصل بأمان اللّه في دار القرار، و يذوق طعم رضاه، فإنّ المعوّل ذلك «٥»، و ما عداه لا شئ «٦».

---

(١) «ب»: تتأهّل.

(٢) «ح» «ب»: تستتر، و في بعض النّسخ الاخرى: تسرّ.

(٣) «ب»: كمن، «د»: تكنّ.

(٤) التّدليس: كتمان عيب السّلعة عن المشتري؛ يقال: دلّس البائع تدليسا: كتم عيب السّلعة، و الدّلسة: الخديعة. مجمع البحرين ١: ٤٩ مادّة (دلس).

(٥) في المصدر: على ذلك.

(٦) مصباح الشّريعة: ٧١، المحجّة البيضاء ١: ٢٩٣، المستدرك ١: ٢٦٦- ٢٦٧ باب أنّه يستحبّ لمن دخل الخلاء تذكّر ما يوجب الاعتبار.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ٩٩

[الثالثة فى اسرار ستر العورة]

و أمّا ستر العورة؛ فاعلم أنّ معناه: تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإنّ ظاهر بدنك موقع نظر الخلق، فما رأيك في عورات باطنك و مقابح سرّك الّتي لا يطّلع عليها إلاّ ربّك؟.

فاحضر «١» تلك المقابح ببالك، و طالب نفسك بسترها، و تحقّق أنّه لا يستر «٢» عن عين اللّه تعالى ساتر، و إنّما يسترها و يكفّرها النّدم و الحياء و الخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف و الحياء من مكانها «٣»، فتذلّ به نفسك، و يستكين «٤» تحت الخجلة قلبك، و تقوم بين يدي اللّه تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق «٥» الّذي ندم فرجع إلى مولاه بانكسار رأسه من الحياء و الخوف.

قال الصّادق عليه السّلام: (أزين اللّباس للمؤمنين لباس التّقوى، و أنعمه الإيمان، قال اللّه عزّ و جلّ: «**وَ لِبٰاسُ التَّقْوىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ**» «٦»، و أمّا اللّباس «٧» الظّاهر، فنعمة

من اللّه تعالى يستر بها عورات بني آدم و هي كرامة اكرم اللّه بها عباده ذرّيّة آدم عليه السّلام ما لم يكرم غيرهم، و هي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض اللّه عليهم، و خير لباسك ما لا يشغلك عن اللّه عزّ و جلّ، بل يقرّبك من شكره و ذكره و طاعته، و لا يحملك فيها إلى العجب، و الرّياء، و التّزيّن، و المفاخرة، و الخيلاء، فإنّها من آفات الدّين، و مورثة القسوة في القلب، فإذا لبست ثوبك، فاذكر ستر اللّه تعالى عليك ذنوبك برحمته، و ألبس باطنك بالصّدق كما ألبست ظاهرك بثوبك،

---

(١) «م» «ب»: فاخطر.

(٢) «ب»: يستتر.

(٣) «م»: مكانهما.

(٤) «ح»: تسكّن.

(٥) يقال: أبق العبد إباقا: إذا هرب من سيّده من غير خوف و لا كدّ عمل. مجمع البحرين ١: ٢٥ مادّة (أبق).

(٦) الأعراف: ٢٦.

(٧) في المصباح: لباس.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٠

و ليكن باطنك في ستر الرّهبة، و ظاهرك في ستر الطّاعة، و اعتبر بفضل اللّه عزّ و جلّ؛ حيث خلق أسباب اللّباس لتستر «١» العورات الظّاهرة، و فتح أبواب التّوبة و الإنابة لتستر «٢» بها عورات الباطن «٣» من الذّنوب و أخلاق السّوء، و لا تفضح أحدا حيث ستر اللّه عليك أعظم منه، و اشتغل بعيب نفسك، و اصفح عمّا لا يعنيك حاله و أمره، و احذر أن يفنى «٤» عمرك لعمل غيرك، و يتّجر برأس مالك غيرك و تهلك نفسك؛ فإنّ نسيان الذّنوب من أعظم عقوبة اللّه تعالى في العاجل، و أوفر أسباب العقوبة في الآجل، و ما دام العبد مشتغلا بطاعة اللّه تعالى، و معرفة عيوب نفسه، و ترك ما يشين في دين اللّه، فهو بمعزل عن الآفات، خائض «٥» «٦» في بحر رحمة اللّه عزّ و جلّ، يفوز

بجواهر الفوائد من الحكمة و البيان، و ما دام ناسيا لذنوبه، جاهلا لعيوبه، راجعا إلى حوله و قوّته، لا يفلح إذن أبدا) «٧».

[الرابعة: فى اسرار المكان]

و أمّا المكان؛ فاستحضر فيه أنّك كائن بين يدي ملك الملوك، تريد مناجاته و التّضرّع إليه، و التماس رضاه، و نظره إليك بعين الرّحمة، فانظر مكانا يصلح لذلك؛ كالمساجد الشّريفة، و المشاهد المطهّرة مع الإمكان، فإنّه «٨» تعالى جعل تلك المواضع محلّا لإجابته، و مظنّة [لقبوله و رحمته] «٩»، و معدنا لمرضاته و مغفرته، على مثال حضرة الملوك الّذين يجعلونها وسيلة لذلك، فادخلها ملازما للسّكينة و الوقار، مراقبا

---

(١) «د» «م» «ب»: لستر.

(٢) «د» «ب» «م»: ليستر.

(٣) «د»: العورات الباطنة.

(٤) «ح» «ب» «م»: تفني.

(٥) في المصادر: غائص.

(٦) يقال: خضت الماء أخوضه خوضا و خياضا: مشيت فيه. مجمع البحرين ١: ٧١٢ مادّة (خوض).

(٧) مصباح الشّريعة: ٦٠، المحجّة البيضاء ١: ٣٧٩.

(٨) «ب»: فإنّ اللّه.

(٩) «ب»: لقبول رحمته.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠١

للخشوع و الانكسار، سائلا أن يجعلك من خاصّ عباده، و أن يلحقك بالماضين منهم.

و راقب اللّه كأنّك على الصّراط جائز، و كن متردّدا بين الخوف و الرّجاء، و بين القبول و الطّرد، فيخشع حينئذ قلبك، و يخضع لبّك، و تتأهّل لأن تفيض عليك الرّحمة، و تنالك يد العاطفة، و ترعاك عين العناية، قال الصّادق عليه السّلام: (إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنّك قصدت ملكا

عظيما لا يطأ بساطه إلاّ المطهّرون، و لا يؤذن لمجالسته إلا الصّدّيقون، وهب القدوم إلى بساط خدمته هيبة الملك، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت، و اعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل و الفضل معك و بك، فإن عطف عليك بفضله «١» و رحمته قبل منك يسير الطّاعة، و أجزل لك عليها ثوابا كثيرا، و إن طالبك باستحقاقه الصّدق و الإخلاص عدلا بك حجبك و ردّ طاعتك و إن كثرت، و هو فعّال لما يريد، و اعترف بعجزك «٢» و تقصيرك و فقرك بين يديه، فإنّك قد توجّهت للعبادة له و المؤانسة به [و أعرض أسرارك عليه، و ليعلم أنّه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين و علانيتهم، و كن كأفقر عباده بين يديه] «٣»، و أخل قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك، فإنّه لا يقبل إلاّ الأطهر [و] «٤» الأخلص [و انظر من أيّ ديوان يخرج اسمك] «٥»، فإن ذقت من حلاوة مناجاته، و لذيذ مخاطباته، و شربت بكأس رحمته و كراماته من حسن إقباله و إجاباته، فقد صلحت لخدمته، فادخل فلك الإذن و

الأمان، و إلاّ فقف وقوف مضطرّ قد انقطع عنه الحيل، و قصر عنه الأمل، و قضي الأجل، فإذا علم اللّه من قلبك صدق الالتجاء إليه، نظر إليك بعين الرّأفة و الرّحمة [و العطف] «٦» و وفّقك لما يحبّ و يرضى، فإنّه كريم، يحبّ

---

(١) «ح» «د»: فبفضله.

(٢) في المصباح، زيادة: و قصورك.

(٣) أضفناه من المصادر.

(٤) أضفناه من المصادر.

(٥) أضفناه من المصادر.

(٦) أضفناه من المصادر و البحار.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٢

الكرامة لعباده المضطرّين إليه [المحدقين على بابه، لطلب مرضاته] «١»، قال اللّه تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ» «٢» «٣»

[الخامسة: فى اسرار الوقت]

و أمّا الوقت؛ فاستحضر عند دخوله أنّه ميقات جعله اللّه تعالى لك، لتقوم فيه بخدمته، و تتأهّل للمثول في حضرته، و الفوز بطاعته.

و ليظهر على قلبك السّرور، و على وجهك البهجة عند دخوله، لكونه سببا لقربك، و وسيلة إلى فوزك، فاستعدّ له بالطّهارة، و النّظافة، و لبس الثّياب الصّالحة للمناجاة، كما تتأهّب عند القدوم على ملك من ملوك الدّنيا، و تلقاه بالوقار و السّكينة، و الخوف و الرّجاء، فإنّ الرّحمة عميمة، و الفضل قديم، و الأخذ و الاستدراج متحقّق، و الطّرد عند التّقصير متوجّه، فكن بين ذلك قواما.

و الزم الخشوع و الخضوع، و الذّلّ و الانكسار، فإنّه عند الموصوف بذلك، و مثّل «٤» في نفسك لو أنّ ملكا من ملوك الأرض «٥» وعدك بأن يكتبك في وقت معيّن من خواصّه و القائمين بين يديه ببعض خدمته، و يخاطبك و تخاطبه على طريق الانبساط و الانس في مخاطباتك، و

تطلب إليه «٦» ما تحتاج إليه من مهمّاتك، و يجعلك عنده من مقرّبي العباد، و يخلع عليك خلعة سنيّة بين الأشهاد، و يجعل ذلك إلى مدّة طويلة، و غاية بعيدة، مع أنّه لا يؤثّر ذلك في حظّك عند اللّه تعالى، بل يزيده، أمّا كنت تنتظر ذلك الوقت قبل إبّانه «٧»، و تهتمّ له قبل أوانه، و تفرح بقربه فضلا عن دخوله، و يزيد بهجتك و سرورك عند وصوله؟

---

(١) أضفناه من المصادر.

(٢) النّمل: ٦٢.

(٣) مصباح الشّريعة: ٨٦، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٠.

(٤) «ب»: فمثّل.

(٥) «م»: الدّنيا.

(٦) «م»: منه.

(٧) «م»: إتيانه، «د»: إيابه.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٣

فلا تجعل عناية اللّه جلّ جلاله بك، و إعدادك لمخاطبتك له و مخاطبته لك، و كتبته إيّاك في ديوان المقرّبين بالصّلاة الّتي هي أفضل الأعمال، و بسجودها أوجب القرب إلى حضرته، و الفوز بمحبّته، كما ورد في كتابه الحكيم، و وعد به رسوله الكريم، و خلعته «١» الدّائمة في الدّار الصّافية، دون تقريب ملك من ملوك الدّنيا مع عجزه عن نفعك بدون توفيق اللّه تعالى لك، و عدم الوثوق الحقيقيّ بوفائه و دوامه مدّة يسيرة على تقدير وقوعه.

و من هنا كان النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله ينتظر وقت الصّلاة، و يشتدّ شوقه، و يترقّب دخوله، و يقول لبلال «٢» مؤذّنه: (أرحنا [بها] «٣» يا بلال) «٤» أشار بذلك إلى أنّه في تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التّكليفات، و قيامه بوظائف الصّلاة، و إن كان سرّه لا يخلو من ضروب من المناجاة، إلاّ أنّ قرّة عينه في الصّلاة؛ كما قال عليه أفضل الصّلوات و التّحيات «٥».

(١) «ب» «ح»: خلعه، «د»: و الخلعة.

(٢) هو: بلال بن رباح مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، عدّه الشّيخ الطّوسيّ في رجاله من أصحاب النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، و قال: شهد بدرا، و توفّي بدمشق في الطّاعون سنة ثماني عشرة من الهجرة، كنيته: أبو عبد اللّه، و قيل: أبو عمرو، و يقال: أبو عبد الكريم، و هو ... مدفون بباب الصّغير بدمشق.

روى الوحيد في التّعليقة، عن جدّه، أنّه قال: رأيت في بعض كتب أصحابنا، عن هاشم بن سالم، عن الصّادق عليه السّلام، و عن أبي البختريّ، قال: حدّثنا عبد اللّه بن احسن بن الحسن؛ أنّ بلالا أبى أن يبايع أبا بكر، و أن عمر أخذ بتلابيبه؛ و قال له: يا بلال، هذا جزاء أبي بكر منك أن أعتقك، فلا تجيء تبايعه؟! فقال: إن كان أبو بكر أعتقني للّه فليدعني للّه، و إنّ كان أعتقني لغير ذلك، فها أنا ذا، و أمّا بيعته؛ فما كنت ابايع من لم يستخلفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و الّذي استخلفه، بيعته في أعناقنا إلى يوم القيامة، فقال عمر: لا أبا لك، لا تقم معنا؛ فارتحل إلى الشّام. رجال الطّوسيّ: ٨، تنقيح المقال ١: ١٨٢، معجم رجال الحديث ٣: ٣٥٨.

(٣) أضفناه من المصدر.

(٤) إحياء علوم الدّين ١: ٢٩٦، مجمع الزّوائد ١: ١٤٥، المحجّة البيضاء ١: ٣٧٧.

(٥) الخصال: ١٦٥ حديث ٢١٧- ٢١٨.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٤

ثمّ استشعر بعد هذه البهجة خشية اللّه تعالى في الوقوف بين يديه و أنت ملطّخ بكدوراتك النّفسيّة، و علائقك الدّنيويّة، و عوائقك البدنيّة، فإنّ استشعار الخوف شعار الكاملين، كما أنّ الغفلة عن ذلك علامة المطرودين، كما قد عرفته في تضاعيف الأسرار، و جملة الآثار.

و استحضر عظمة اللّه تعالى و جلاله، و نقصان قدرك و كماله، و قد روي عن بعض أزواج النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله أنّها قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحدّثنا و نحدّثه، فإذا حضرت الصّلاة، فكأنّه لم يعرفنا و لم نعرفه، شغلا باللّه عن كلّ شيء «١».

و كان عليّ عليه السّلام إذا حضر وقت الصّلاة يتململ و يتزلزل، فيقال له:

مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: (جاء وقت أمانة عرضها اللّه

على السّماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها) «٢».

و كان عليّ بن الحسين عليهما السّلام إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه، فيقال له: ما هذا الّذي يعتريك «٣» عند الوضوء؟ فيقول: (ما تدرون بين يدي من أقوم) «٤» و كلّ ذلك إشارة إلى استحضار عظمة اللّه تعالى، و الالتفات إليه حال العبادة، و الانقطاع عن غيره.

و إذا سمعت نداء المؤذّن، فاحضر في قلبك هول النّداء يوم القيامة و تشمّر بظاهرك و باطنك للمسارعة و الإجابة، فإنّ المسارعين إلى هذا النّداء هم الّذين

---

(١) روته عائشة؛ انظر: إحياء علوم الدّين ١: ٢٦٩، ٢٩٢، عوالي اللّئالئ ١: ٣٢٤ حديث ٦١، عدّة الدّاعي: ١٣٩.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٢٧٠، عوالي اللّئالئ ١: ٣٢٤ حديث ٦٢.

(٣) «م» «ب»: يعتادك، «د»: يعتورك.

(٤) إحياء علوم الدّين ١: ٢٧٠، إرشاد العباد إلى سبيل الرّشاد: ٢٢، عوالي اللّئالئ ١:

٣٢٤ حديث ٦٣، بحار الأنوار ٤٦: ٧٣.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٥

ينادون باللّطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النّداء، فإن وجدته مملوّا بالفرح و الاستبشار، و مستعدّا بالرّغبة إلى الابتدار، فاعلم أنّه يأتيك النّداء بالبشرى، و الفوز يوم القضاء.

و اعتبر بفصول الأذان و كلماته كيف افتتحت باللّه و اختتمت باللّه «١»، و اعتبر بذلك أنّ اللّه جلّ جلاله هو الأوّل، و الآخر، و الظّاهر، و الباطن.

و وطّن قلبك بتعظيمه و تكبيره عند سماع التّكبير، و استحقر الدّنيا و ما فيها لئلاّ تكون كاذبا في تكبيرك، و انف عن خاطرك «٢» كلّ معبود سواه بسماع التّهليل، و احضر النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و تأدّب بين يديه، و اشهد له بالرّسالة مخلصا، و صلّ عليه و على آله، و حرّك نفسك واسع بقلبك و قالبك عند الدّعاء إلى الصّلاة و ما يوجب

الفلاح و ما هو خير الأعمال و أفضلها، و جدّد عهدك- بعد ذلك- بتكبير اللّه و تعظيمه و اختمه بذكره كما افتتحت به، و اجعل مبدأك منه، و عودك إليه، و قوامك به، و اعتمادك على حوله و قوّته، فإنّه لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم.

[السادسة: فى استقبال القبلة]

و أمّا الاستقبال؛ فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت اللّه تعالى، أ فترى أنّ صرف «٣» القلب عن سائر الامور إلى أمر اللّه تعالى ليس مطلوبا منك؟! هيهات، بل لا مطلوب سواه.

و إنّما هذه الظّواهر محرّكات للبواطن، و وسائل إليها، و معارج يترقّى منها إليها، و ضبط للجوارح، و تسكين لها بالثّبات على جهة واحدة، حتّى لا تبغي على القلب، فإنّها إذا بغت و ظلمت في حركاتها و التفاتاتها «٤» إلى جهاتها استتبعت القلب، و انقلبت به عن وجه اللّه، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك.

(١) «د»: به.

(٢) «ح»: خواطرك.

(٣) «ح»: انصراف.

(٤) «ب» «م»: التفاتها.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٦

و من هنا جاء قول النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (أما يخاف الّذي يحوّل وجهه في الصّلاة أن يحوّل اللّه وجهه وجه حمار؟) «١» فإنّ ذلك نهي عن الالتفات عن اللّه تعالى، و ملاحظة عظمته في حال الصّلاة، فإنّ الملتفت يمينا و شمالا ملتفت عن اللّه تعالى، و غافل عن مطالعة أنوار كبريائه، و من كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه، فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقليّته للامور العلويّة، و عدم إكرامه «٢» بشيء من العلوم، و القرب إلى اللّه تعالى.

و اعلم أنّه كما لا يتوجّه الوجه إلى جهة البيت إلاّ بالصرف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى اللّه تعالى إلاّ بالتّفرّغ عمّا سوى اللّه تعالى، و قد قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (إذا قام العبد إلى صلاته و كان هواه [و وجهه] «٣» و قلبه إلى اللّه تعالى، انصرف كيوم ولدته امّه) «٤».

و قال الصّادق عليه السّلام: (إذا استقبلت القبلة، فآيس من الدّنيا و ما فيها، و الخلق و ما هم فيه، و استفرغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن اللّه تعالى، و عاين بسرّك عظمة اللّه تعالى، و اذكر وقوفك بين يديه يوم «تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مٰا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللّٰهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ» «٥» وقف على قدم الخوف و الرّجاء) «٦».

فإذا توجّهت بالتّكبيرات، فاستحضر عظمة اللّه سبحانه، و صغر نفسك، و خسّة عبادتك في جنب عظمته، و انحطاط همّتك عن القيام بوظائف خدمته، و استتمام حقائق عبادته، و تفكّر عند قولك: اللّهمّ أنت الملك الحق» في عظيم ملكه،

(١) تقدّم الحديث في ص: ٧٧.

(٢) «م»: الكرامة.

(٣) أضفناه من المصدر.

(٤) إحياء علوم الدّين ١: ٢٩٧، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٢.

(٥) يونس: ٣٠.

(٦) مصباح الشّريعة: ٩١، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٢.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٧

و عموم قدرته، و استيلائه على جميع العوالم.

ثمّ ارجع على نفسك بالذّلّ و الانكسار، و الاعتراف بالذّنوب و الاستغفار عند قولك: «عملت سوءا و ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت».

و احضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة، و مثّل نفسك بين يديه و أنّه قريب منك يجيب دعوة الدّاعي إذا دعاه و يسمع نداءه «١»، و أنّ بيده خير الدّنيا و الآخرة لا بيد غيره عند قولك: «لبّيك و سعديك، و الخير في يديك».

و نزّهه عن الأعمال السّيّئة و أفعال الشّرّ، و ابدله بها محض الهداية و الإرشاد عند قولك: «و الشّرّ ليس إليك، و المهديّ من هديت».

و اعترف له بالعبوديّة، و أنّ قوام وجودك و بدءه و معاده منه بقولك: «عبدك و ابن عبديك، منك، و بك، و لك، و إليك» أي: منك وجوده، و بك قوامه، و لك ملكه «٢»، و إليك معاده، و هو الّذي يبدئ الخلق ثمّ يعيده، و هو أهون عليه، و له المثل الأعلى.

فاحضر في ذهنك هذه الحقائق، و ترقّ منها إلى ما «٣» يفتح عليك من الأسرار و الدّقائق، و تلقّ الفيض من العالم الأعلى، فإنّ أبوابه لا تنسدّ عن أحد من القوابل، و لا يخيب لديه أمل آمل.

اللّهم أهّلنا لقبول طوالع أسرارك، و كمّلنا بالوصول إلى لوامع أنوارك، و اجعلنا من الواقفين على كراسي إرادتك «٤»، العاكفين على بساط كراماتك، و تمّمنا من هذا النّقصان، و اهدنا إلى طريق الرّضوان، وجد علينا بلطيف الإحسان، و

اعذنا من صفقة الخسران، و آتنا من لدنك رحمة، و هيّىء لنا من أمرنا رشدا.

---

(١) «ب» «م»: نداه.

(٢) «ب»: مهلكه.

(٣) «م»: لما.

(٤) «ح»: إراداتك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٠٩

الفصل الثّانى فى المقارنات [الصلاة]، و هي ثمان

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١١

الفصل الثّاني: في المقارنات، و هي ثمان:

[الاولى: فى اسرار القيام و وظائفه]

الاولى: القيام، و وظيفته القلبيّة: تذكّر أنّك قائم بين يدي اللّه تعالى، و هو مطّلع على سريرتك، عالم بما تخفي و ما

تعلن، و هو أقرب إليك من حبل الوريد، فاعبده كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، و انصب قلبك بين يديه كما نصبت شخصك، و طأطىء برأسك الّذي هو أرفع أعضائك مطرقا مستكينا، و الزم قلبك التّواضع و الخشوع و التّذلّل و التّبرّي عن الترأّس و التّكبّر، كما وضعت رأسك، و قم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزّمان، فإن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله فإنّك تجد- وجدانا ضروريّا- أنّك تنقهر عند مكالمة الملك و محاورته، و تلزم معه السّكون «١» و الخضوع، و ربّما يتبع ذلك رعدة البدن، و تلعثم «٢» اللّسان، و منشأ ذلك كلّه: الخوف الحادث عن تصوّر عظمته، فكيف يتصوّر جبّار الجبابرة، و ملك الدّنيا و الآخرة؟.

فعند «٣» ذلك يحصل لك الخوف الّذي هو المقصد الذّاتي من العارف.

و كذلك يحصل الرّجاء عند تصوّر عظمته، و استشعار أنّ الكلّ منه، فإنّ ذلك باعث على رجائه. و قد تأكّد ذلك

بالآيات الواردة في باب الخوف و الرّجاء.

و كذلك يستلزم الحياء منه، لأنّ المتصوّر عظمة الأمر «٤» لا يزال مستشعرا

---

(١) «ب»: السّكوت.

(٢) تلعثم الرّجل في الأمر: إذا تمكّث فيه و تأنّى. مجمع البحرين ٢: ١٢٣ مادّة (تلعثم).

(٣) «ب» «م»: و عند.

(٤) «م»: الأمير.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٢

تقصيرا، و متوهّما ذنبا، و ذلك الاستشعار و التّوهّم يوجب الحياء من اللّه تعالى.

و هذه امور مطلوبة من العابد، بل قدّر في دوام قيامك في صلواتك «١» أنّك ملحوظ و مرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك و ممّن ترغب أن يعرفك بالصّلاح، فإنّه

تهدأ عند ذلك أطرافك، و تخشع جوارحك، و تسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلّة الخشوع.

و لو أحسست من نفسك بالتّماسك «٢» و الثّبات عند ملاحظة عبد مسكين، فعاتب نفسك و قل لها: يا نفس تدّعين معرفة اللّه تعالى، أ فما تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده؟! أو تخشين النّاس و لا تخشينه و هو أحقّ أن يخشى؟! أ لا تستحي من خالقك و مولاك، إذا قدّرت اطّلاع عبد ذليل من عباده عليك و ليس بيده خيرك و لا نفعك و لا ضرّك، خشعت لأجله جوارحك، و حسنت صلواتك «٣»، ثمّ أنّك تعلمين أنّه مطّلع عليك فلا تخشعين لعظمته، أ هو أهون عندك من عبد من عباده؟! فما أشدّ طغيانك و جهلك، و ما أعظم عداوتك «٤» لنفسك.

و لذلك لمّا قيل للنّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: كيف الحياء من اللّه تعالى؟

فقال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (تستحي منه كما تستحي

من رجل صالح من قومك) «٥».

و أمّا دوام القيام؛ فهو تنبيه على إدامة القلب مع اللّه تعالى على نعت واحد من الحضور، قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ اللّه مقبل على العبد ما لم يلتفت) «٦».

---

(١) «د»: صلاتك.

(٢) «م»: التّماسك.

(٣) «د»: صلاتك.

(٤) «ب»: عدوانك.

(٥) إحياء علوم الدّين ١: ٢٩٨، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٣.

(٦) إحياء علوم الدّين ١: ٣٠٢، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٩ و فيهما: المصلّي- بدل- العبد.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٣

و كما تجب حراسة العين و الرّأس عن الالتفات إلى غير الصّلاة، فكذلك تجب حراسة السرّ عن الالتفات إلى غير

الصّلاة، فإن التفت إلى غيرها فذكره باطلاع اللّه تعالى عليك، و قبح التّهاون بالمناجى مع غفلة المناجي، ليعود إلى التّيقّظ.

و الزم الخشوع الباطني، فإنّه ملزوم الخشوع ظاهرا، و مهما خشع الباطن خشع الظّاهر، قال صلّى اللّه عليه و آله و قد رأى مصلّيا يبعث بلحيته: (أمّا هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه) «١» فإنّ الرّعيّة بحكم الرّاعي، و لهذا ورد في الدّعاء: «اللّهم اصلح الرّاعي و الرّعيّة» «٢» و هو القلب و الجوارح، و كلّ ذلك يقتضيه الطّبع بين يدي من يعظم من أبناء الدّنيا، فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك و جبّار الجبابرة؟

و من يطمئنّ بين يدي غير اللّه تعالى خاشعا ثمّ تضطرب أطرافه بين يدي اللّه تعالى، فذلك لقصور معرفته عن جلال اللّه تعالى، و عن اطّلاعه على سرّه و ضميره و تدبّر قوله تعالى: «**الَّذِي يَرٰاكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السّٰاجِدِينَ**» «٣».

[الثانية: في اسرار النية و وظائفها]

الثّانية: النّيّة، و وظيفتها: العزم على إجابة اللّه تعالى في امتثال أمره بالصّلاة و إتمامها، و الكفّ عن نواقضها و مفسداتها، و إخلاص جميع ذلك لوجه اللّه تعالى رجاء ثوابه، و طلب القربة منه إن عجزت عن مرتبة عبادته، لكونه أهلا للعبادة الّتي هي عبادة الأحرار، فإذا فاتتك درجة الأحرار الأبرار فلا تفوتك درجة التّجّار، و هي العمل رجاء العوض «٤»، فإن فاتتك هذه المرتبة فاجلس مع العبيد في مجالسهم، و شاركهم في مقاصدهم، فإنّهم إنّما يعملون و يخدمون في الغالب خوفا من الضّرب و العقوبة، و هي غاية الخوف من العقاب.

---

(١) إحياء علوم الدّين ١: ٣٠٢، شرح نهج البلاغة ١١: ١٩٥، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٩.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٣٠٢، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٩.

(٣) الشّعراء: ٢١٩.

(٤) «م»: رجاءا للثّواب.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٤

و تقلّد «١» في نيّتك و قصدك المنّة له «٢» تعالى و تقدّس بإذنه إيّاك في المناجاة مع سوء أدبك، و كثرة عصيانك، و عظّم في نفسك قدر مناجاته، و انظر من تناجي، و كيف تناجي، و بما ذا تناجي، و عند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة، و ترتعد فرائصك من الهيبة، و يصفرّ وجهك من الخوف، كما روي فيما تقدّم عن بعض أزواج النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله، قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحدّثنا و نحدّثه؛ فإذا حضرت الصّلاة فكأنّه لم يعرفنا و لم نعرفه شغلا باللّه عن كلّ شيء «٣».

و قال الصّادق عليه السّلام: (الإخلاص بجميع حواصل الأعمال، و هو معنى مفتاحه القبول) «٤».

و أدنى حدّ الإخلاص بذل العبد طاقته، ثمّ لا يجعل لعمله عند اللّه قدرا فيوجب «٥» به على ربّه مكافأة بعمله «٦»،

فإنّه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز، و أدنى مقام المخلص في الدّنيا السّلامة من جميع الآثام، و في الآخرة النّجاة من النّار، و الفوز بالجنّة.

و قال عليه السّلام: (صاحب النّيّة الصّادقة صاحب القلب السّليم) «٧» لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلّص النّيّة للّه تعالى في الامور كلّها، قال اللّه تعالى: «يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» «٨».

---

(١) «م»: تفكّر.

(٢) «ب»: للّه.

(٣) راجع ص: ١٠٤.

(٤) مصباح الشّريعة: ٤٢٠، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٤ و قد ورد في بعض المصادر؛ هكذا: (الإخلاص يجمع فواضل الأعمال).

(٥) «ب» «م»: يوجب.

(٦) «م»: لعمله.

(٧) مصباح الشّريعة: ٣٧، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٤.

(٨) الشّعراء: ٨٨.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٥

ثمّ النّيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة، و تختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوّته و ضعفه، و صاحب النّيّة الخالصة، نفسه و هواه معه مقهوران تحت سلطان تعظيم اللّه تعالى و الحياء منه.

[الثالثة: فى اسرار تكبيرة الاحرام و وظائفها]

الثّالثة: التّكبير، و معناه أنّ اللّه سبحانه أكبر من كلّ شيء، أو أكبر من أن يوصف، أو من أن يدرك بالحواس، أو يقاس بالنّاس، فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من اللّه تعالى فاللّه يشهد أنّك لكاذب، و إن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم: إنّه صلّى اللّه عليه و آله رسول اللّه «١»، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر اللّه و أنت أطوع له منك للّه فقد

اتّخذته إلهك و كبّرته، فيوشك أن يكون قولك: «اللّه اكبر» كلاما باللّسان المجرّد، و قد تخلّف القلب عن مساعدته، و ما أعظم الخطر في ذلك لو لا التّوبة و الاستغفار و حسن الظّنّ بكرم اللّه تعالى و عفوه، قال الصّادق عليه السّلام: (إذا كبّرت فاستصغر ما بين العلا و الثرى دون كبريائه، فإنّ اللّه إذا اطّلع على قلب العبد و هو يكبّر و في قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: «يا كاذب، أتخذ عني، و عزّتي و جلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري، و لأحجبنّك عن قربي و المسارّة بمناجاتي») «٢».

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك «٣»، فإن كنت تجد حلاوتها، و في نفسك سرورها و بهجتها، و قلبك مسرورا بمناجاته، ملتذّا بمخاطباته، فاعلم أنّه قد صدقك في تكبيرك له، و إلاّ فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة، و حرمان حلاوة العبادة أنّه دليل على تكذيب اللّه لك، و طردك عن بابه.

و أمّا دعاء التّوجّه؛ فأوّل كلماته: قولك: «وجّهت وجهي

للذي فطر

(١) حكى اللّه تعالى ذلك عنهم في سورة المنافقين؛ الآية: ١.

(٢) مصباح الشّريعة: ٩٢، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٥.

(٣) «د»: صلواتك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٦

السّماوات و الأرض حنيفا مسلما» و ليس المراد بالوجه الوجه الظّاهر، فإنّك إنّما وجّهته إلى جهة القبلة، و اللّه سبحانه تقدّس عن «١» أن تحدّه الجهات حتّى تقبل بوجه بدنك عليه، و إنّما وجه القلب هو الّذي يتوجّه إلى اللّه فاطر السّماوات و الأرض، فانظر إلى وجه قلبك أ متوجّه هو إلى أمانيه و هممه في البيت و السّوق و غيرهما، متّبع للشّهوات، أم مقبل على فاطر السّماوات؟

و إيّاك أن يكون مفاتحتك للمناجاة بالكذب و الاختلاق، فيصرف وجه رحمته عنك و قبوله فيما بقي على الاطلاق،

و لن ينصرف الوجه إلى اللّه إلاّ بالانصراف عمّا «٢» سواه، فإنّ القلب بمنزلة مرآة وجهها صقيل، و ظهرها كمد «٣» «٤»، لا يقبل انطباع الصّور، فإذا توجّهت إلى شيء انطبع فيها و استدبرت غيره و لا يمكن انطباعه.

و لهذا كانت الدّنيا و الآخرة ضرّتين؛ كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الاخرى، فاجتهد في الحال في صرفه إليه، و إن عجزت عنه على الدّوام ليكون قولك في الحال صادقا عسى أن يسامحك في الغفلة بعد ذلك.

و إذا قلت: «حنيفا مسلما» فينبغي أن يحضر «٥» في بالك أنّ المسلم هو الّذي سلم المسلمون من يده و لسانه، فإن لم تكن كذلك كنت كاذبا، فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال، و تندم على ما سبق من الأحوال.

و إذا قلت: «و ما أنا من المشركين» فاحضر ببالك الشّرك الخفيّ، و أنّ قوله تعالى: «**فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**» «٦».

(١) «ح» «د»: من.

(٢) «ح»: عمّن.

(٣) «ح»: كدر.

(٤) الكمدة: تغيّر اللّون و ذهاب صفائه. مجمع البحرين ٣: ٧١ مادّة (كمد).

(٥) «م»: تحضر.

(٦) الكهف: ١١٠.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٧

جعل من يقصد بعبادة ربّه وجه اللّه و حمد النّاس مشركا، فاستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنّك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشّرك، فإنّ اسم الشّرك يقع على القليل و الكثير منه.

فإذا قلت: «محياي و مماتي للّه» فاعلم أنّ هذا حال عبد مفقود لنفسه، موجود لسيّده، و أنّه إن صدر ممّن غضبه و رضاه، و قيامه و قعوده، و رغبته في الحياة، و رهبته من

الموت لامور الدّنيا، لم يكن ملائما للحال.

[الرابعة: فى اسرار القراءة و وظائفها]

الرّابعة: القراءة، و وظائفها لا تكاد تنحصر، و لا تحيط بها قوّة البشر، و إن اعتني بشأنها يخرج عن وضع الرّسالة، لأنّها حكاية كلام اللّه جلّ جلاله؛ المشتمل على الأساليب العجيبة، و الأوضاع الغريبة، و الأسرار الدّقيقة، و الحكم الأنيقة.

و ليس المقصود منه مجرّد حركة اللّسان، بل المقصود معانيها و تدبّرها لتستفيد منها حكمة، و حقائق، و أسرارا، و ترغيبا، و ترهيبا، و أمرا، و نهيا، و وعدا، و وعيدا، و ذكر أنبيائه، و نعمه «١»، إلى غير ذلك من الفوائد.

فإذا قلت: «أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم» فاعلم أنّه عدوّك، و مترصّد لصرف «٢» قلبك عن اللّه تعالى حسدا لك على مناجاتك مع اللّه تعالى و سجودك له، مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها.

و انّ استعاذتك باللّه منه بترك ما يحبّه و تبديله «٣» بما

يحبّ اللّه تعالى لا بمجرّد قولك: «أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم» فإنّ من قصده سبع أو عدوّ ليفترسه أو يقتله فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين، و هو ثابت في مكانه، انّ ذلك لا ينفعه، بل لا يفيده «٤» إلاّ تبديل المكان، فكذلك من يتّبع الشّهوات الّتي هي محلّ الشّيطان

---

(١) «ب»: نعمته.

(٢) «ح»: لصدّ.

(٣) «ح» «د» «م»: تبدّله.

(٤) «م»: يعيذه.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٨

و مكاره الرّحمن، فلا يغنيه «١» مجرّد القول، فليقترن «٢» قوله بالعزم على التّعوّذ بحصن اللّه تعالى عن شرّ الشّيطان، و حصنه «لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ» إذ قال اللّه تعالى فيما أخبر عنه نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله: «لا إله إلاّ اللّه حصني» «٣» و المتحصّن

به من لا معبود له سوى اللّه تعالى، فأمّا من اتّخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشّيطان لا في حصن اللّه.

و من دقائق مكائده أن يشغلك في الصّلاة بفكر الآخرة و تدبّر فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ «٤».

فاعلم أنّ كلّ ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس، فإنّ حركة اللّسان غير مقصودة، بل المقصود معانيها- كما مرّ- و النّاس في القراءة على ثلاثة أقسام:

فمنهم: من يحرّك لسانه بها و لا يتدبّر قلبه لها، و هذا من الخاسرين الدّاخلين في توبيخ اللّه سبحانه و تهديده، بقوله تعالى «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» «٥» و دعاء نبيّه صلّى اللّه عليه و آله بقوله: (ويل لمن لاكها «٦» بين لحييه ثمّ لم يتدبّرها) «٧».

و منهم: من يتحرّك «٨» لسانه، و قلبه يتبع اللّسان، فيسمع و يفهم منه كأنّه يسمعه «٩» من غيره، و هذه درجة أصحاب اليمين.

(١) «ب» «م»: يعينه.

(٢) «ب»: فليقرن.

(٣) عيون أخبار الرّضا ٢: ١٣٦، إحياء علوم الدّين ١: ٣٠٠، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٧.

(٤) «د»: تقوله.

(٥) محمّد: ٢٤.

(٦) اللّوك: إدارة الشّيء في الفم. مجمع البحرين ٣: ١٥٤ مادّة (لوك).

(٧) مجمع البحرين ٣: ١٥٤ مادّة (لوك).

(٨) «ب» «م»: يحرّك.

(٩) «م»: يسمع.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١١٩

و منهم: من يسبق قلبه إلى المعاني أوّلا، ثمّ يخدم اللّسان قلبه فيترجمه، و هذه درجة المقرّبين.

و فرق جليّ بين أن يكون اللّسان ترجمان القلب- كما في هذه الدّرجة- و بين أن يكون معلّمه- كما في الدّرجة

الثّانية- فالمقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب، و لا يتبعه القلب.

و تفصيل ترجمة المعاني- على سبيل الاقتصار-: أنّك إذا قلت: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» «١» فانو به التّبرّك لابتداء القراءة بكلام «٢» اللّه تعالى، و افهم أنّ معناه أنّ الامور كلّها باللّه، و أنّ المراد ها هنا بالاسم هو المسمّى، و إذا كانت الامور كلّها باللّه، فلا جرم، كان الحمد «٣» للّه.

فإذا قلت: «الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» «٤» فاحضر في قلبك أنواع لطفه، ليتّضح «٥»

---

(١) الفاتحة: ١.

(٢) «ب» «م»: لكلام.

(٣) الحمد هو الثّناء بالجميل على قصد التّعظيم و التّبجيل للممدوح سواء النّعمة و غيرها، و الشّكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم، لكونه منعما سواء كان باللّسان أو بالجنان أو بالأركان، و عليه قول القائل:

أفادتكم النّعماء منّي ثلاثة

يدي و لساني و الضّمير المحجّبا

فالحمد أعمّ من جهة المتعلّق و أخصّ من جهة المورد، و الشّكر بالعكس. و في الحديث: (الحمد رأس الشّكر) و إنما جعله رأس الشّكر، لأنّ ذكر النّعمة باللّسان و الثّناء على موليها أشيع لها و أدلّ على مكانها من الاعتقاد لخفاء عمل القلب و ما في عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللّسان الّذي هو النّطق المفصح عن كلّ خفيّ. كذا في الكشّاف.

و فيه (الحمد للّه الواصل الحمد بالنّعم و النّعم بالشكر) [نهج البلاغة، صبحي الصّالح: ١٦٩].

قال بعض الشّارحين: يعني أنّه تعالى أنعم على سبيل التّفضّل أوّلا، ثمّ أمر المكلّفين أن يحمدوه على نعمه؛ كما هو مركوز في بداية العقول، ثمّ زادهم على حمدهم نعما اخرى؛ كما قال: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ» و يمكن أن يقال: إنّه تعالى تفضّل بالنّعم أوّلا، ثمّ أوصل ذلك بنعمة الحمد؛ بأن ألهم عباده الحمد عليها، ثمّ أوصل النّعم بالشّكر؛ حيث قال: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ». مجمع البحرين ١: ٥٦٩ مادّة (حمد).

(٤) الفاتحة: ٣.

(٥) «ب»: لتنفتح.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٠

لك رحمته، فينبعث به رجاؤك.

ثمّ استشعر «١» من قلبك التّعظيم و الخوف بقولك: «مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» «٢» أمّا العظمة؛ فلأنّه «٣» لا ملك إلاّ له، و أمّا الخوف؛ فلهول يوم الجزاء و الحساب الّذي هو مالكه.

ثمّ جدّد الإخلاص بقولك: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» «٤» و تحقّق أنّه ما تيسّرت طاعتك إلاّ بإعانته، و أنّ المنّة له؛ إذ وفّقك لطاعته، و استخدمك لعبادته، و جعلك أهلا لمناجاته، و لو حرمك التّوفيق لكنت من المطرودين مع الشّيطان الرّجيم اللّعين.

ثمّ إذا فرغت عن التّفويض بقولك: «بسم اللّه» و عن التّحميد، و عن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقا، فعيّن سؤالك، و لا تطلب إلاّ أهمّ حاجاتك، و قل:

«اهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ» «٥» الّذي يسوقنا إلى

جوارك، و يفضي بنا إلى مرضاتك، و زده شرحا و تفصيلا و تأكيدا، و استشهد باللّذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النّبيّين و الصّدّيقين و الصّالحين دون الّذين غضب [اللّه تعالى] «٦» عليهم من الكفّار و الزّائغين من اليهود و النّصارى و الصّابئين.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممّن قال اللّه تعالى فيهم، فيما أخبر النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (قسمت الفاتحة بيني و بين عبدي نصفين، فنصفها لي و نصفها لعبدي، يقول العبد: الحمد للّه ربّ العالمين، فيقول اللّه: حمدني عبدي

---

(١) «د» «ب»: استتر.

(٢) الفاتحة: ٤.

(٣) «ح» «م»: فإنّه.

(٤) الفاتحة: ٥.

(٥) الفاتحة: ٦.

(٦) ليست في «د» «ب».

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢١

و أثنى عليّ، و هو معنى قوله: «سمع اللّه لمن حمده» ...)
« ١».

فلو لم يكن من صلاتك حظّ سوى ذكر اللّه لك في جلاله و عظمته، فناهيك به غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه و فضله؟.

و كذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السّورة، فلا تغفل عن أمره و نهيه، و وعده و وعيده، و مواعظه و أخبار أنبيائه، و ذكر منه « ٢» و إحسانه، فلكلّ واحد « ٣» حقّ، فالرّجاء حقّ الوعد، و الخوف حقّ الوعيد، و العزم حقّ الأمر و النّهي، و الاتّعاظ حقّ الموعظة، و الشّكر حقّ تذكّر المنّة، و الاعتبار حقّ أخبار الأنبياء.

و تفصيل وظيفة قراءة القرآن لا يحتمله هذا المحل، لكنّا نذكر جملة منه في آخر الفصل.

و بالجملة: ففهم معاني القرآن يختلف بحسب درجات الفهم، و الفهم يختلف بحسب وفور العلم و صفاء القلب، و درجات ذلك لا تنحصر، و الصّلاة مفتاح القلوب، فيها تنكشف أسرار الكلمات، فهذا حقّ القراءة، و هو أيضا حقّ الأذكار و التّسبيحات.

ثمّ تراعي الهيئة في القراءة زيادة على التّدبّر، فترتّل و لا تسرد؛ فإنّ ذلك أيسر للتّأمّل، و تفرّق بين نغماته في آية الرّحمة و العذاب، و الوعد و الوعيد، و التّمجيد و التّعظيم.

و يروى أنّه يقال لقارىء القرآن: «اقرأ و ارق و رتّل، كما كنت ترتّل في الدّنيا» «٤».

---

(١) إحياء علوم الدّين ١: ٣٠١، المحجّة البيضاء ١: ٣٨٨ و فيهما: قسمت الصّلاة ...

(٢) «ب» «م»: منّته.

(٣) ليست في «ب».

(٤) إحياء علوم الدّين ١: ٣٠٢، كما أخرجه النّسائي ١: ٣٣٨، و التّرمذيّ ١١: ٣٦، و جاء في المحجّة البيضاء ١: ٣٨٩.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٢

و من وظائف القراءة من الأثر قول الصّادق عليه السّلام: (من قرأ القرآن و لم يخضع له، و لم يرقّ قلبه، و لم ينشىء حزنا و وجلا في سرّه، فقد استهان بعظم شأن اللّه و خسر خسرانا مبينا، فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، و بدن فارغ، و موضع خال، فإذا خشع للّه قلبه فرّ منه الشّيطان الرّجيم، قال اللّه تعالى: «فَإِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطٰانِ الرَّجِيمِ» «١»، و اذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة، فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن و فوائده، و إذا اتّخذ مجلسا خاليا و اعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الاوليين استأنس روحه و سرّه باللّه، و وجد حلاوة مخاطبات اللّه عباده الصّالحين، و عظم «٢» لطفه بهم، و مقام اختصاصه لهم بقبول كراماته و بدائع إشاراته، فإذا شرب كأسا من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك «٣» الحال حالا، و لا

على ذلك الوقت وقتا، بل يؤثره على كلّ طاعة و عبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الرّب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهيه، و كيف تمتثل حدوده، فإنّه كتاب «عَزِيزٌ لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» «٤» فرتّله ترتيلا، وقف عند وعده و وعيده، و تفكّر في أمثاله و مواعظه، و احذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده) «٥».

[الخامسة: فى اسرار الركوع و وظائفه]

الخامسة: الرّكوع، فإذا وصلت إليه فجدّد على قلبك ذكر كبرياء اللّه تعالى و عظمته، و خساسة كلّ ما سواه و تلاشيه، فارفع يديك له و قل: «اللّه أكبر» مستجيرا في رفعك بعفو اللّه من عقابه، و متّبعا سنّة نبيّه، ثمّ تستأنف له ذلّا و تواضعا

---

(١) النّحل: ٩٨.

(٢) في المصادر: علم.

(٣) «ح»: هذه.

(٤) فصّلت: ٤١، ٤٢.

(٥) مصباح الشّريعة: ٩٦، المحجّة البيضاء ٢: ٢٤٩.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٣

بركوعك، و اجتهد في ترقيق قلبك و تجديد خشوعك، و تستشعر ذلك، و عزّ مولاك و اتّضاعك و علوّ ربّك، و تستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبّح ربّك و تنزّهه، و تشهد له بالعظمة و الكبرياء، و أنّه أعظم من كلّ عظيم بقولك: «سبحان ربّي العظيم و بحمده» و تكرّر ذلك على لسانك و قلبك، لتؤكّده بالتّكرار، و تقرّره في ذاتك بالتّذكار، و كلّما أكثرت منه و ازددت خضوعا، زدت عند مولاك «١» رفعة.

ثمّ ترتفع من ركوعك راجيا أنّه راحم ذلك، و تؤكّد الرّجاء في قلبك بقولك: «سمع اللّه لمن حمده» أي: أجاب اللّه

لمن حمده و شكره.

ثمّ تردف ذلك بالشّكر المتقاضي للمزيد، فتقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ»* و في ذلك غاية الخضوع و مزيد التّذلّل إذا راعيت ذلك بالحقيقة، و قد قال الصّادق عليه السّلام: (لا يركع عبد ركوعا على الحقيقة إلاّ زيّنه اللّه تعالى بنور بهائه، و أظلّه في ظلال كبريائه، و كساه كسوة أصفيائه، و الرّكوع أوّل، و السّجود ثان، فمن أتى [بمعنى الأوّل] «٢» صلح للثّاني، و في الرّكوع أدب، و في السّجود قرب، و من لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع للّه [عزّ و جلّ] «٣» بقلب متذلّل و جل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة «٤» الرّاكعين، و حكي أنّ الرّبيع بن خثيم «٥» كان يسهر باللّيل إلى الفجر في ركعة

---

(١) «ب»: ربّك.

(٢) في المصباح: بالأوّل.

(٣) أضفناه من المصدر.

(٤) «ح»: فوائد.

(٥) قال الكشّيّ في الزّهّاد الثّمانية: عليّ بن محمد بن قتيبة، قال: سئل أبو محمّد الفضل بن شاذان عن الزّهّاد الثّمانية، فقال: الرّبيع بن خثيم، و هرم بن حيّان، و أوس القرنّي، و عامر بن عبد قيس؛ فكانوا مع عليّ عليه السّلام و من أصحابه، و كانوا زهّادا أتقياء. و قال عنه الغزاليّ في كتابه «إحياء علوم الدّين» الباب السّادس من الكتاب العاشر: كان الرّبيع بن خثيم حفر في داره قبرا، و كان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه و اضطجع و مكث ما شاء اللّه، ثمّ يقول: «ربّ ارجعوني لعلّي أعمل صالحا فيما-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٤

واحدة، فإذا هو أصبح تزفّر و قال: «آه، سبق المخلصون، و قطع بنا»، و استوف ركوعك باستواء ظهرك و انحط عن همّتك في القيام بخدمته إلاّ بعونه، و فرّ بالقلب من وساوس الشّيطان و خدائعه و مكائده، فإنّ اللّه تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، و يهديهم إلى اصول التّواضع و

الخضوع و الخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم) «١».

[السادسة: فى اسرار السجود و وظائفه]

السّادسة: السّجود، و هو أعظم مراتب الخضوع، و أحسن درجات الخشوع، و أعلى مراتب الاستكانة «٢»، و أحقّ المراتب باستيجاب القرب إلى اللّه تعالى، و تلقّي أنوار رحمته، و معاطف كرمه، كما نبّه عليه الكتاب الكريم في أمره لنبيّه أن يسجد، و وعده على ذلك بأن يقترب «٣».

- تركت» يردّدها ثمّ يردّ على نفسه: يا ربيع، قد أرجعناك فاعمل. و عن مصباح الشّريعة، للشّيخ أبي الحسن سليمان بن الحسن الصّهرشتيّ- من مشاهير تلامذة شيخ الطّائفة-: أنّه كان يضع قرطاسا بين يديه؛ فيكتب ما يتكلّم به ثمّ يحاسب نفسه في عشيّته؛ ما له، و ما عليه، و يقول: آه، آه؛ نحبى الصّامتون. و قال الشّيخ البهائيّ- رحمه اللّه- في كشكوله؛ إنّه: قيل للرّبيع بن خثيم: ما نراك تغتاب أحدا؟ فقال: لست عن نفسي راضيا، فأتفرّغ لذمّ النّاس، ثمّ أنشد:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها

لنفسي عن نفسي عن النّاس شاغل

و فيه أيضا: إنّ من جملة كلمات الرّبيع: لو كانت الذّنوب تفوح، ما جلس أحد في جنب أحد.

و منها: إنّ العجب من قوم يعملون لدار يبعدون منها كلّ يوم مرحلة، و يتركون العمل لدار يرحلون إليها كلّ يوم مرحلة، و كان يقول: إن عوفينا من شرّ ما اعطينا، لم يضرّنا ما زوي عنّا.

قال: و لمّا رأت امّ الرّبيع ما يلقى هو من البكاء و السّهر، قالت له: يا بني، لعلّك قتلت قتيلا؟ قال:

نعم، يا امّاه، قالت: و من هو، حتّى يطلب إلى أهله، فيعفوا عنك، فو اللّه لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك و عفوا عنك؟ فقال: يا امّاه، هي نفسي هذه ... قيل: إنّه مات سنة ٦١ ه و قيل: سنة ٦٣ ه رجال الكشيّ ٩٧، تنقيح المقال ١: ٤٢٤، معجم رجال الحديث ٧: ١٧٠.

(١) مصباح الشّريعة: ١٠٣، المحجّة البيضاء ١: ٣٩٠.

(٢) استكان: خضع و ذلّ. مجمع البحرين ١: ٣٩٤ مادّة (سكن).

(٣) في قوله تعالى من سورة العلق: ١٩.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٥

فإذا أردت السّجود فاستحضر عظمة اللّه تعالى زيادة على ما حضر حالة الرّكوع، و كبّره رافعا يديك و أنت قائم، ثمّ ا هو إلى السّجود، و مكّن أعزّ أعضائك و هو الوجه من أذلّ الأشياء و هو التّراب، فإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل، فإنّه أجلب للخشوع، و أدلّ على الذّلّ و الخضوع.

و هذا هو السّرّ في منع الشّريعة من السّجود على ما يأكله الآدميّون و يلبسونه، لأنّه من متاع الدّنيا و أهلها الّذين اغترّوا بغرورها، و ركنوا إلى زخرفها، و اطمأنّوا إليها، فأسلمتهم إلى المهالك أحوج ما كانوا إليها.

و إذا وضعت نفسك موضع الذّلّ، فاعلم أنّك وضعتها موضعها، و رددت الفرع إلى أصله، فإنّك من التّراب خلقت و إليه رددت، ثمّ تخرج منها مرّة اخرى.

فاحضر في بالك تنقّلاتك «١» منها و إليها، ثمّ خروجك منها بتكرّر السّجود كما ذكره اللّه تعالى لك بقوله: «مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى» «٢».

و عند هذا جدّد على قلبك عظمة اللّه تعالى و علوّه و قل: «سبحان ربّي الأعلى و بحمده» و أكّده بالتّكرار، فإنّ المرّة الواحدة ضعيفة الأثر في القلب.

فإذا رقّ قلبك و ظهر لك ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربّك، فإنّ رحمته تتسارع إلى الضّعف و الذّلّ لا إلى التّكبّر و البطر «٣»، فارفع رأسك مكبّرا و سائلا حاجتك، و مستغفرا من ذنوبك، ثمّ أكّد التّواضع بالتّكرار، و عد إلى السّجود ثانيا كذلك، فبزيادته يزيد القرب، و بتكراره تتأكّد السّوانح الإلهيّة، و تظهر اللّوامع الغيبيّة، إذا وقع على وجهه.

---

(١) «ح»: نقلاتك.

(٢) طه: ٥٥.

(٣) البطر: سوء احتمال الغنى، و الطّغيان عند النّعمة. مجمع البحرين ١: ٢١١ مادة (بطر).

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٦

قال الصّادق عليه السّلام: (ما خسر و اللّه من أتى بحقيقة السّجود و لو كان في العمر مرّة واحدة، و ما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافل لاه عمّا أعدّ اللّه للسّاجدين من انس العاجل و راحة الآجل، و لا بعد «١» عن اللّه أبدا من أحسن تقرّبه «٢» في السّجود، و لا قرب إليه أبدا من أساء أدبه و ضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع للّه ذليل علم أنّه خلق من تراب يطأه «٣» الخلق، و أنّه اتّخذك من نطفة يستقذرها كلّ أحد، و كوّن و لم يكن، و قد جعل اللّه معنى السّجود سبب التّقرّب إليه بالقلب و السّرّ و الرّوح، فمن قرب منه بعد من «٤» غيره، ألا ترى في الظّاهر أنّه لا يستوي حال السّجود إلاّ بالتّواري عن جميع الأشياء، و

الاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون؟ كذلك أمر الباطن، فمن كان قلبه «٥» متعلّقا في صلاته بشيء دون اللّه فهو قريب من ذلك الشّيء، بعيد عن حقيقة ما أراد اللّه منه في صلاته، قال اللّه عزّ و جلّ: «مٰا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» «٦»، و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: (قال اللّه تعالى: لا أطّلع على قلب عبد فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي و ابتغاء مرضاتي، إلاّ تولّيت تقويمه و سياسته، و من اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين) «٧».

[السابعة: فى اسرار التشهد و وظائفه]

السّابعة: التّشهّد، إذا جلست للتّشهّد بعد هذه الأفعال الدّقيقة، و الأسرار

---

(١) «م»: يبعد.

(٢) «ب»: أدبه.

(٣) «ب»: تطأه.

(٤) «ب»: عن.

(٥) في المصباح: ظنّه.

(٦) الأحزاب: ٤.

(٧) مصباح الشّريعة: ١٠٨، المحجّة البيضاء ١: ٣٩١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٧

العميقة المشتملة على الأخطار الجسيمة، و الأهوال العظيمة، فاستشعر الخوف التّام، و الرّهبة و الحياء و الوجل أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه، و لا محسّلا لوظيفته و شرطه، و لا مكتوبا في ديوان المقبولين.

فاجعل يدك صفرا من فوائدها، إلاّ أن يتداركك اللّه برحمته، و يقبل عملك النّاقص بفضله، و ارجع إلى مبدأ الأمر و أصل الدّين، و استمسك بكلمة التّوحيد و حصن اللّه تعالى الّذي من دخله كان آمنا إن لم يكن حصل في يدك غيره، و اشهد له بالوحدانيّة، و احضر رسوله الكريم «١» و نبيّه العظيم «٢» ببالك، و اشهد له بالعبوديّة و الرّسالة، و صلّ

عليه و على آله مجدّدا عهد اللّه «٣» بإعادة كلمتي الشّهادة، متعرّضا بهما لتأسيس مراتب السّعادة، فإنّهما أوّل «٤» الوسائل، و أساس الفواضل، و جماع أمر الفضائل، مترقّبا لإجابته صلّى اللّه عليه و آله لك بصلاتك عشرا من صلاته إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه الّتي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبدا.

و قال الصّادق عليه السّلام: (التّشهّد ثناء على اللّه تعالى، فكن عبدا له في السّرّ، خاضعا له في الفعل؛ كما أنّك عبد له بالقول و الدّعوى و صل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك، فإنّه خلقك عبدا و أمرك أن تعبده بقلبك و لسانك و جوارحك، و أن تحقّق عبوديّتك له بربوبيّته لك، و تعلم أنّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس و لا لحظة إلّا بقدرته و مشيّته، و هم عاجزون عن إتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه و إرادته، قال اللّه عزّ و جلّ: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ، ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» «٥»، فكن [للّه] «٦» عبدا شاكرا «٧»

(١) «ب»: المكرّم.

(٢) «ب»: المعظّم.

(٣) «ب» «م»: عهدا للّه.

(٤) «ب» «م»: اولى.

(٥) القصص: ٦٨.

(٦) أضفناه من المصدر.

(٧) «ب»: ذاكرا.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٨

[بالفعل؛ كما أنّك عبد ذاكر] «١» بالقول و الدّعوى، و صل صدق لسانك بصفاء سرّك، فإنّه خلقك فعزّ و جلّ أن تكون إرادة و مشيّة لأحد إلاّ بسابق إرادته و مشيّته، فاستعمل العبوديّة في الرّضا بحكمه «٢» و بالعبادة في أداء أوامره، و قد أمرك بالصّلاة على نبيّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله، فأوصل صلاته بصلاته، و طاعته بطاعته، و شهادته

بشهادته، و انظر ألاّ تفوتك بركات معرفة حرمته، فتحرم عن فائدة صلاته و أمره بالاستغفار لك و الشّفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر و النّهي، و السّنن و الآداب، و تعلّم جليل مرتبته عند اللّه عزّ و جلّ «٣».

[الثامنة: فى اسرار التسليم و وظائفه]

الثّامنة: التّسليم، و إذا فرغت من التّشهّد فاحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين و الملائكة المقرّبين، و قل: «السّلام عليك أيّها النّبيّ و رحمة اللّه و بركاته» إلى آخر التّسليم المستحب.

ثمّ احضر في بالك النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و بقيّة أنبياء اللّه، و أئمّته عليهم السّلام، و الحفظة لك من الملائكة المقرّبين، المحصين لأعمالك، و قل: «السّلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته».

و لا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور مخاطب «٤» في ذهنك، فتكون من العابثين و اللّاعبين، و كيف يسمع الخطاب لمن لا يقصد المخاطب، لو لا فضل اللّه

تعالى و رحمته الشّاملة، و رأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن أصل الواجب، و إن كان بعيدا عن درجات القبول، منحطّا عن أوج القرب و الوصول؟

فإن كنت إماما لقوم فاقصدهم بالسّلام مع من تقدّم من المقصودين، و ليقصدوا هم الرّدّ عليك أيضا، ثمّ يقصدوا مقصدك بسلام ثان، فإذا فعلتم ذلك فقد

---

(١) ليست في «ب» «م» و المصدر.

(٢) في المصدر: بحكمته.

(٣) مصباح الشّريعة: ١١٤، المحجّة البيضاء ١: ٣٩٣.

(٤) «ب»: مخاطبك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٢٩

أدّيتم وظيفة السّلام، و استحققتم من اللّه تعالى مزيد الإكرام.

و أصل السّلام مشترك بين التّحيّة الخاصّة، و بين الاسم

المقدّس من أسماء اللّه تعالى، و المعنى هنا «١» على الأوّل ظاهر، و على الثّاني يكون مستعارا في الخلق بإذن اللّه تعالى، للتّفاؤل «٢» بالسّلام و الأمان من عذاب اللّه تعالى لمن قام بحدوده.

قال الصّادق عليه السّلام: (معنى السّلام في دبر كلّ صلاة الأمان، أي:

من أدّى أمر اللّه و سنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله [خاضعا له] «٣» خاشعا منه قلبه «٤»، فله الأمان من بلاء الدّنيا و براءة من عذاب الآخرة، و السّلام اسم من أسماء اللّه تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات و الأمانات و الإنصافات، و تصديق مصاحبتهم فيما بينهم، و صحّة معاشرتهم.

و إن «٥» أردت أن تضع السّلام موضعه، و تؤدّي معناه فاتّق اللّه و ليسلم منك دينك و قلبك و عقلك ألّا تدنّسها بظلمة المعاصي، و لتسلم [منك] «٦» حفظتك، أن لا تبرمهم و لا تملّهم و توحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثمّ صديقك

ثمّ عدوّك، فإن لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، و من لا يضع السّلام مواضعه هذه، فلا سلام و لا [إسلام و لا] «٧» تسليم، و كان كاذبا في سلامه و إن أفشاه في الخلق) «٨».

---

(١) «د»: ها هنا.

(٢) «ح»: للتّفأل.

(٣) أضفناه من المصدر.

(٤) ليست في المصدر.

(٥) «ح»: إذا.

(٦) أضفناه من المصدر.

(٧) أضفناه من المصدر.

(٨) مصباح الشّريعة: ١١٩، المحجّة البيضاء ١: ١٩٤.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣٠

تتمّة الفصل [: في وظائف المصلي عقيب السلام]

إذا أتيت بالصّلاة على ما وصفت «١» لك فاختمها بالخشوع و الخضوع و الخوف من منقلب الرّدّ و خيبة الحرمان، و استشعر شكر اللّه تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطّاعة، و توهّم أنّك مودّع في صلاتك هذه، و أنّك ربّما لا تعيش [على مثلها] «٢» كما قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (صلّ صلاة مودّع) «٣».

ثمّ استشعر قلبك الحياء من التّقصير في الصّلاة، و الخوف من أن تلفّ فيضرب بها وجهك، فإذا فعلت ذلك رجوت أن تكون من الخاشعين الّذين هم على صلاتهم يحافظون، و الّذين هم على صلاتهم دائمون.

و اعرض صلاتك على هذا الوصف، فبقدر ما تيسّر منها كذلك ينبغي أن تفرح و ترجو، و على ما يفوتك ينبغي أن تتحسّر و تجتهد في مداواة قلبك، فإنّ صلاة الغافلين مرتع إبليس اللّعين.

نسأل اللّه تعالى أن يغمرنا برحمته، و يتغمّدنا بمغفرته؛ إذ لا وسيلة لنا إلّا الاعتراف بالعجز عن القيام بوظائف طاعته.

ثمّ عقّب ذلك كله بالاشتغال بالتّعقيب من الذّكر و الدّعاء، و بالغ في الإخلاص و الانقطاع و الابتهال إلى اللّه تعالى في مغفرة ذنبك، و قبول عملك، و تلقّي طاعتك بيد الرّحمة؛ فإنّ الفضل عميم، و الكرم جسيم، و الرّحمة واسعة، و الجود فائض، و المحلّ قابل.

---

(١) «ب» «د»: وصف.

(٢) «ب» «د»: لمثلها.

(٣) إحياء علوم الدّين ١: ٣٠٤، المحجّة البيضاء ١: ٣٩٤.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣١

و خلاصة وظائف الدّعاء عقيب الصّلاة و غيرها: ما قاله مولانا الصّادق عليه السّلام: (احفظ أدب الدّعاء، و انظر من تدعو، و كيف تدعو، و لما «١» تدعو، و حقّق عظمة اللّه تعالى و كبرياءه، و عاين بقلبك علمه بما في ضميرك، و اطّلاعه على سرّك، و ما تكنّ «٢» فيه من الحقّ و الباطل، و

اعرف طرق نجاتك و هلاكك، كيلا تدعو اللّه بشيء [عسى] «٣» فيه هلاكك، و أنت تظنّ أنّ فيه نجاتك، قال اللّه عزّ و جلّ: «وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً» «٤»، و تفكّر ما ذا تسأل، و لماذا تسأل، و الدّعاء استجابة الكلّ منك للحقّ، و تذويب المهجة في مشاهدة الرّبّ، و ترك الاختيار جميعا، و تسليم الامور كلّها ظاهرها و باطنها إلى اللّه؛ فإن لم تأت بشرط الدّعاء فلا تنتظر الإجابة، فإنّه يعلم السّرّ و أخفى، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك بخلاف «٥» ذلك، قال بعض الصّحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدّعاء، و أنا أنتظر الحجر. و اعلم أنّه لو لم يكن أمرنا اللّه بالدّعاء، لكنّا إذا أخلصنا الدّعاء تفضّل علينا بالإجابة، فكيف و قد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدّعاء؟ سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن اسم اللّه الأعظم، قال: كلّ اسم من أسماء اللّه أعظم، و فرّغ قلبك عن كلّ ما سواه، و ادعه بأيّ اسم شئت، و ليس في الحقيقة للّه اسم دون اسم، بل هو اللّه الواحد

القهّار، و قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه لا يستجيب الدّعاء من قلب لاه فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدّعاء و أخلصت سرّك لوجهه، فأبشر بإحدى ثلاثة: إمّا أن يتعجّل «٦» لك بما سألت.

---

(١) «ب»: ما، و في المصادر: لماذا.

(٢) في المحجّة: كمن.

(٣) أضفناه من المصادر.

(٤) الإسراء: ١١.

(٥) في المصباح: خلاف.

(٦) «ب» و المصباح: يعجّل.

أو يدّخر لك ما هو أعظم منه.

و إمّا أن يصرف عنك من البلاء «١» ما أن لو أرسله عليك لهلكت، قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: قال اللّه تعالى: «من

شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما اعطي السّائلين»، قال الصّادق عليه السّلام: (لقد دعوت اللّه مرّة فاستجاب لي و نسيت الحاجة، لأنّ استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم و أجلّ ممّا يريد منه العبد و لو كانت الجنّة و نعيمها الأبد، و لكن لا يفعل «٢» ذلك إلاّ العاملون «٣» المحبّون العارفون الفائزون «٤»، صفوة اللّه و خواصّه) انتهى «٥».

و هو كاف في وظيفة الدّعاء.

[فى وظائف قارىء القرآن عند القراءة]

و إن عقّبت بشيء من القرآن، فينبغي أن تتدبّر بعض وظائفه، لتقوم بشروطه و تمتثل مرسوم حدوده، كما ينبغي ذلك لكلّ قارىء، و ما ورد في ثواب قراءة القرآن و الحثّ عليه يخرج ذكره عن موضوع الرّسالة؛ فلنذكر مهمّ وظائفه ملخّصا، و هو امور:

[الاول: فى حضور القلب]

الأوّل: حضور القلب، و ترك حديث النّفس، قيل في تفسير

قوله تعالى: «يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ» «٦» اي: بجدّ و اجتهاد «٧»، و أخذه بالجدّ: أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشغلات «٨» و الهموم عنه.

[الثانى: فى التدبر]

الثّاني: التّدبر، و هو طور وراء حضور القلب؛ فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر في

---

(١) «د» «م»: البلايا.

(٢) في المصباح و «ح»: يعقل.

(٣) في المصادر: العالمون.

(٤) ليست في المصادر.

(٥) مصباح الشّريعة: ١٢٤، المحجّة البيضاء ١: ٣٠٩.

(٦) مريم: ١٢.

(٧) مجمع البيان ٦: ٧٨١، إحياء علوم الدّين ١: ١٢١.

(٨) «ب»: المشتغلات.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣٣

غير القرآن، و لكنّه يقتصر على سماع القرآن و هو لا يتدبّره، و المقصود من التّلاوة التّدبّر؛ قال اللّه سبحانه: «أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا» «١» «أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيراً» «٢» و قال تعالى:

«وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً» «٣» لأنّ التّرتيل يمكّن الإنسان من تدبّر الباطن.

و قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (لا خير في عبادة لا فقه فيها، و لا خير في قراءة لا تدبّر فيها) «٤».

و إذا لم يمكن التّدبّر إلاّ بالتّرديد فليردّد، قال أبو ذر «٥» رضي اللّه عنه: قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليلة يردّد قوله تعالى: «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبٰادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «٦» «٧».

[الثّالث: في التفهيم]

الثّالث: التّفهّم، و هو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها؛ إذ

القرآن يشتمل على: ذكر صفات اللّه تعالى، و أفعاله، و أحوال أنبيائه، و المكذّبين لهم، و أحوال ملائكته، و ذكر أوامره و زواجره، و ذكر الجنّة و النّار، و الوعد و الوعيد، فليتأمّل معاني هذه الأسماء و الصّفات، لتنكشف له أسرارها، [فإنّ تحتها] «٨» أسرار

---

(١) محمّد: ٢٤.

(٢) النّساء: ٨٢.

(٣) المزّمّل: ٤.

(٤) تحف العقول: ٢٠٤، المحجّة البيضاء ٢: ٢٣٧ و فيهما: عن عليّ عليه السّلام.

(٥) هو: أبو ذر الغفاريّ؛ الزّاهد المشهور، الصّادق اللّهجة، و اسمه: جندب بن جنادة بن سكن، و قد اختلف في اسمه و نسبه اختلافا كثيرا. أسلم و النّبيّ بمكّة، و كان رابع أربعة أو خامس خمسة، صحب النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله بعد ما هاجر إلى المدينة إلى أن مات، و يكفي في جلالة شأنه قول النّبيّ له:

(ما أظلّت الخضراء، و لا أقلّت الغبراء؛ أصدق لهجة من أبي ذرّ)، أخرجه التّرمذيّ في صحيحه ٥:

٦٦٩ حديث ٣٨٠١، مات بالرّبذة سنة ٣١ هـ أو ٣٢ هـ الإصابة ٤: ٦٢، أسد الغابة ١: ٣٠١، تذكرة الحفّاظ ١: ١٧.

(٦) المائدة: ١١٨.

(٧) أخرجه ابن ماجة في سننه ١: ٤٢٩ حديث ١٣٥٠، إحياء علوم الدّين ١: ٥١٣، المحجّة البيضاء ٢: ٢٣٧.

(٨) «د» «ب» «م»: فتحتها.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣٤

الدّقائق، و كنوز الحقائق.

قال ابن مسعود «١»: من أراد أن يعلم علم الأوّلين و الآخرين، فعليه بالقرآن، قال اللّه تعالى: «قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً» «٢» «٣».

و قال عليّ عليه السّلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب) «٤».

فمن لم يتفّهم معاني القرآن في تلاوته و سماعه و لو في أدنى المراتب، دخل في قوله تعالى: «أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ» «٥» و قوله تعالى: «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا» «٦».

[الرّابع: فى التخلى]

الرّابع: التّخلّي عن موانع الفهم؛ فإنّ أكثر النّاس منعوا من فهم القرآن، لأسباب و حجب أسدلها الشّيطان على قلوبهم، فحجبت عن عجائب أسراره؛ قال صلّى اللّه عليه و آله: (لو لا أنّ الشّياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت) «٧» و معاني القرآن و أسراره من جملة الملكوت، و الحجب الموانع منها،

---

(١) هو: عبد اللّه بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شخص أو شمخ الهذيل الهذليّ حليف بني زهرة؛ من السّبّاقين إلى الإسلام، شهد بدرا و المشاهد بعدها، و هاجر الهجرتين، لازم النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله، و كان صاحب نعليه. روى عن النّبيّ، و عن عمرو بن سعد بن معاذ، و روى عنه ابناه: عبد الرّحمن و أبو عبيدة، و امرأته

زينب، و أبو رافع، و جابر، و أنس، و مسروق، و غيرهم. مات سنة ٣٢، و قيل: ٣٣ هـ الإصابة ٢: ٣٦٨، أسد الغابة ٣: ٢٥٦.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) إحياء علوم الدّين ١: ٥١٤، المحجّة البيضاء ٢: ٢٣٩، ٢٥١ و فيهما: من أراد أن يعلم علم الأوّلين و الآخرين؛ فليثوّر القرآن.

(٤) إحياء علوم الدّين ١: ٥١٥، ٥٢٥، المحجّة البيضاء ٢: ٢٤.

(٥) النّحل: ١٠٨.

(٦) محمّد: ٢٤.

(٧) إحياء علوم الدّين ١: ٥١٥، المحجّة البيضاء ٢: ٢٤١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣٥

و الاشتغال بتحقيق الحروف و إخراجها من مخارجها و التّشدّق بها من غير ملاحظة المعنى.

و قيل: إنّ المتولّي لحفظ ذلك شيطان وكّل بالقرّاء «١»، ليصرف عن معاني كلام اللّه تعالى، فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف، و يخيّل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه،

فيكون تأمّله مقصورا على مخارج الحروف «٢»؛ فمتى تنكشف له المعاني؟!

و أعظم ضحكة للشّيطان من كان مطيعا لمثل هذا التّلبيس، و منها: أن يكون مبتلى من الدّنيا بهوى مطاع؛ فإنّ ذلك سبب لظلمة القلب كالصّدأ على المرآة، فيمنع جليّة الحقّ أن يتجلّى فيه، و هو أعظم حجاب للقلب، و به حجب الأكثرون، و كلّما كانت الشّهوات أكثر تراكما على القلب، كان البعد عن أسرار اللّه أعظم، و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله: (الدّنيا و الآخرة ضرّتان، بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من «٣» الاخرى) «٤».

[الخامس: في تخصيص نفسه بكل خطاب في القرآن]

الخامس: أن يخصّص نفسه بكلّ خطاب في القرآن من أمر، أو نهي، أو وعد، أو وعيد، و يقدّر أنّه هو المقصود.

و كذلك إن سمع قصص الأوّلين و الأنبياء عليهم السّلام علم أنّ مجرّد القصّة غير مقصود، و إنّما المقصود الاعتبار،

و لا يعتقد أنّ كلّ خطاب خاصّ في القرآن؛ فالمراد به الخصوص، فإنّ القرآن و سائر الخطابات الشّرعيّة واردة على طريقة «إيّاك أعني و اسمعي يا جارة» و هي كلّها نور و هدى و رحمة للعالمين، و لذلك أمر اللّه تعالى الكافّة بشكر نعمة الكتاب، فقال: «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ مٰا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتٰابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ» «٥».

---

(١) «ب»: بالقرآن، «ح» «د»: بالقراءة.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٥١٥، المحجّة البيضاء ٢: ٢٤١.

(٣) «ب» «م»: عن.

(٤) عوالي اللّئالئ ١: ٢٧٧، ٤: ١١٤.

(٥) البقرة: ٢٣١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣٦

و إذا قدّر أنّه المقصود لم يتّخذ دراسة القرآن عملا، بل قراءة كقراءة العبد كتاب مولاه الّذي كتبه إليه ليتدبّره و يعمل

بمقتضاه، قال حكيم: هذا القرآن أتانا من قبل ربّنا بعهوده، نتدبّرها في الصّلاة، و نقف عليها في الخلوات، و نعدّها «١» في الطّاعات، بالسّنن المتّبعات «٢».

[السّادس: فى التأثر]

السّادس: التّأثّر، و هو أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال و وجد يتّصف به عند ما يوجّه نفسه في كلّ حال «٣» إلى الجهة الّتي فهمها من خوف، أو حزن، أو رجاء، أو غيره، فيستعد بذلك و ينفعل، و يحصل له التّأثّر و الخشية، و مهما قويت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه؛ فإنّ التّضييق غالب على العارفين، فلا يرى ذكر المغفرة و الرّحمة إلّا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها؛ كقوله تعالى: «وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ» «٤» فإنّه قرن المغفرة بهذه الشّروط الأربعة.

و كذلك قوله تعالى: «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ...» «٥» إلى آخر السّورة، و ذكر فيها أربعة شروط، و حيث

اوجز و اختصر ذكر شرطا واحدا جامعا للشرائط؛ فقال تعالى: «إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» «٦» إذ كان الإحسان جامعا لكلّ الشّرائط.

و تأثّر العبد بالتّلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة؛ فعند الوعيد يتضاءل «٧» من

---

(١) في المصدر: ننفذها.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٥١٨، المحجّة البيضاء ٢: ٢٤٣.

(٣) «د»: حالة.

(٤) طه: ٨٢.

(٥) العصر: ١، ٢.

(٦) الأعراف: ٥٦.

(٧) أي: يتصاغر، تواضعا منه للّه تعالى. مجمع البحرين ٢: ٣ مادّة (ضأل).

خشية اللّه، و عند الوعد يستبشر فرحا برحمة اللّه، و عند

ذكر اللّه و أسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله، و عند ذكر الكفّار في حقّ اللّه تعالى ما يمتنع عليه كالصّاحبة و الولد يغضّ صوته، و ينكسر في باطنه، حياء من قبح «١» أفعالهم، و يكبّر اللّه و يقدّسه عمّا يقول الظّالمون، و عند ذكر الجنّة ينبعث بباطنه شوقا إليها، و عند ذكر النّار ترعد فرائصه خوفا منها، و لمّا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لابن مسعود: (اقرأ عليّ) قال: ففتحت سورة النّساء، فلمّا بلغت: «فَكَيْفَ إِذٰا جِئْنٰا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنٰا بِكَ عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِيداً» «٢» رأيت عينيه تذرفان من الدّمع، فقال لي: «حسبك الآن» «٣». و ذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلّيّة.

و القرآن إنّما يراد لهذه الأحوال و استجلابها إلى القلب و العمل بها، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: (اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، و لانت عليه جلودكم، فإذا اختلفتم فلستم تقرؤنه) «٤».

و قال اللّه تعالى: «الَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذٰا

تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» «٥» و إلاّ فالموئنة في تحريك اللّسان خفيفة.

و روي أنّ رجلا جاء إلى النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله ليعلّمه «٦» القرآن، فانتهى إلى قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» «٧» فقال: يكفيني هذا، و انصرف، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

---

(١) «ب»: قبيح.

(٢) النّساء: ٤١.

(٣) إحياء علوم الدّين ١: ٥١٩، المحجّة البيضاء ٣: ٢٤٤، سنن الدّراميّ ٢: ٢٤١، إحياء علوم الدّين ١: ٥٢٠، عوالي اللّئالئ ٤: ١١٥ حديث ١٨٠، المحجّة البيضاء ٣: ٢٤٦. و جاء أيضا في رواية اخرى بهذا اللّفظ: (فإذا اختلفتم، فقوموا عنه).

(٤) صحيح البخاري ٦: ٢٤٤.

(٥) الانفال: ٢.

(٦) «د»: ليعلم.

(٧) الزّلزلة: ٧، ٨.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣٨

(انصرف الرّجل و هو فقيه) «١».

و أمّا التّالي باللّسان، المعرض عن العمل، فجدير أن يكون المراد بقوله تعالى:

«وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى» الآية «٢».

و إنّما حظّ اللّسان تصحيح الحروف بالتّرتيل، و حظّ العقل تفسير المعاني، و حظّ القلب الاتّعاظ و التّأثّر بالانزجار و الائتمار.

[السّابع: فى التّرقّي]

السّابع: التّرقّي، و هو أن يوجّه قلبه و عقله إلى القبلة الحقيقيّة، فيسمع «٣» الكلام من اللّه تعالى لا من نفسه.

و درجات القراءة ثلاث:

ادناها: أن يقدّر العبد كأنّه يقرأ على اللّه عزّ و جلّ واقفا بين يديه، و هو ناظر إليه، و مستمع منه؛ فيكون حاله عند هذا التّقدير السّؤال و التّضرّع و الابتهال.

و الثّانية: أن يشهد بقلبه كأنّه سبحانه و تعالى يخاطبه بألطافه، و يناجيه بإنعامه و إحسانه، و هو في مقام الحياء و التّعظيم لمنن اللّه، و الإصغاء إليه، و الفهم منه.

الثّالثة: أن يرى في الكلام المتكلّم، و في الكلمات الصّفات؛ فلا «٤» ينظر إلى قلبه، و لا إلى قراءته، و لا إلى التّعلّق بالإنعام من حيث هو منعم عليه، بل يقصر الهمّ على المتكلّم، و يوقف فكره عليه، و يستغرق في مشاهدته.

و هذه درجة المقرّبين، و عنها أخبر جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام

---

(١) إحياء علوم الدّين ١: ٥٢١، المحجّة البيضاء ٢: ٢٤٦، كما أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٥٣٢ باختلاف يسير في اللّفظ.

(٢) طه: ١٢٤.

(٣) «ح» «ب»: فيستمع.

(٤) «ح» «د» «م»: و لا.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٣٩

بقوله: ([و اللّه] «١» لقد تجلّى اللّه لخلقه في كلامه، و لكنّهم لا يبصرون) «٢».

و قال أيضا و قد سألوه عن حالة لحقته في الصّلاة حتّى خرّ مغشيّا عليه، فلمّا أفاق «٣»، قيل له في ذلك، فقال: (ما زلت اردّد هذه «٤» الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته) «٥».

[الثّامن: فى التّبرّي]

الثّامن: التّبرّي، و المراد به أن يتبرّأ من حوله و قوّته، فلا يلتفت إلى نفسه بعين الرّضا و التّزكية؛ فإذا تلا آيات الوعد و مدح الصّالحين حذف نفسه عن درجة الاعتبار، و شهد فيها الموقنين و الصّدّيقين، و يتشوّق إلى أن يلحقه اللّه بهم، و إذا تلى آيات المقت و الذّمّ للمقصّرين شهد نفسه هناك،

و قدّر أنه المخاطب خوفا و إشفاقا.

و إلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين و سيّد الوصّيين عليه السّلام في الخطبة التّي يصف فيها المتّقين بقوله: (و إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، و ظنّوا أنّ زفير جهنّم شهيق في آذانهم ...) إلى آخره «٦».

---

(١) أضفناه من المصدر.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٥٢٢، عوالي اللّئالئ ٤: ١١٦ حديث ١٨١، المحجّة البيضاء ٣: ٢٤٧.

(٣) في المصادر: سري عنه.

(٤) ليست في المصادر.

(٥) إحياء علوم الدّين ١: ٥٢٢، المحجّة البيضاء ٣: ٢٤٨.

(٦) نهج البلاغة، لصبحي الصّالح: ٣٠٣؛ فقد جاء فيه: أنّ صاحبا لأمير المؤمنين عليه السّلام يقال له همام، كان رجلا عابدا، فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لي المتّقين حتّى كأنّي أنظر إليهم؟ فتثاقل عليه السّلام عن جوابه، ثمّ قال: يا همام، اتّق اللّه و أحسن، فـ «إنّ اللّه مع الّذين اتّقوا و الّذين هم محسنون» فلم يقنع همام بهذا القول

حتّى عزم عليه، فحمد اللّه و أثنى عليه، و صلّى على النّبيّ- صلّى اللّه عليه و آله- ثمّ قال عليه السّلام:

«أمّا بعد فإنّ اللّه سبحانه و تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّا عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه، و لا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معايشهم، و وضعهم من الدّنيا مواضعهم؛ فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل؛ منطقهم الصّواب، و ملبسهم الاقتصاد، و مشيهم التّواضع، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم اللّه عليهم، و وقفوا أسماعهم على العلم-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ۱۴۰

و من رأى نفسه بصورة التّقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه، و من شاهد نفسه بعين الرّضا، فهو محجوب بنفسه.

- النّافع هم، نزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالّتي نزّلت في الرّخاء، و لو لا الأجل الّذي كتب اللّه عليهم؛ لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقا إلى الثّواب، و خوفا من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، فهم و الجنّة كمن قد رآها، فهم فيها منعّمون، و هم و النّار كمن قد رآها، فهم فيها معذّبون، قلوبهم

محزونة، و شرورهم مأمونة، و أجسادهم نحيفة، و حاجاتهم خفيفة، و أنفسهم عفيفة. صبروا أيّاما قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسّرها لهم ربّهم، أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها، و أسرتهم ففدو أنفسهم منها، أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلا، يحزّنون به أنفسهم، و يستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق؛ ركنوا إليها طمعا، و تطلّعت نفوسهم إليها شوقا، و ظنّوا أنّها نصب أعينهم، و إذا مرّوا بآية فيها تخويف؛ أصغوا إليها مسامع قلوبهم، و ظنّوا أنّ زفير جهنّم و شهيقها في اصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم و اكفّهم و ركبهم، و أطراف أقدامهم، يطلبون إلى اللّه تعالى في فكاك رقابهم، و أمّا النّهار؛ فحلماء، علماء، أبرار، أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم النّاظر فيحسبهم مرضى، و ما بالقوم من مرض، و يقول: لقد خولطوا!

و لقد خالطهم أمر عظيم! لا يرضون من أعمالهم القليل، و لا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متّهمون، و من أعمالهم مشفقون، إذا زكّي أحد منهم خاف ممّا يقال له؛ فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، و ربّي أعلم بي منّي بنفسي! اللّهمّ لا تؤاخذني بما يقولون، و اجعلني أفضل ممّا يظنّون، و اغفر لي ما لا يعلمون.

فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين، و حزما في لين، و إيمانا في يقين، و حرصا في علم، و علما في حلم، و قصدا في غنى، و خشوعا في عبادة، و تجمّلا في

فاقة، و صبرا في شدّة، و طلبا في حلال، و نشاطا في هدى، و تحرّجا عن طمع؛ يعمل الأعمال الصّالحة و هو على وجل، يمسي و همّه الشّكر، و يصبح و همّه الذّكر، يبيت حذرا، و يصبح فرحا؛ حذرا لما حذّر من الغفلة، و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمة.

إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحبّ، قرّة عينه فيما لا يزول، و زهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، و القول بالعمل، تراه قريبا أمله، قليلا زلله، خاشعا قلبه، قانعة نفسه، منزورا أكله، سهلا أمره، حريزا دينه، ميّتة شهوته، مكظوما غيضه، الخير منه مأمول، و الشّرّ منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذّاكرين، و إن كان في الذّاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عمّن ظلمه، و يعطي من حرمه، و يصل من قطعه، بعيدا فحشه، لينا قوله، غائبا-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٤١

[فى بيان وظائف سجدتى الشكر]

فهذه نبذة من وظائف القراءة و أسرارها، وفّقنا اللّه لتلقّي الأسرار، و ألحقنا بعباده الأبرار.

و إذا وصلت إلى هذا المقام فاسجد سجدتي الشّكر شكرا

للّه سبحانه على مزيد الإنعام، و احضر إنعامه لديك ببالك، و أياديه عندك في جميع أحوالك، و قل «شكرا شكرا» إلى تمام ما يمكنك من المزيد، فأنت مع ذلك مقصّر عمّا يجب عليك من التّحميد، و غاية ما يجب الاعتراف بالتّقصير، و الاستغفار من كلّ قليل و كثير.

اللّهم ارزقنا العمل بما كشفت لنا من الأسرار و الآيات، و زدنا فيضا و عرفانا يكون لنا سلّما إلى نيل تلك الدّرجات، و أوقفنا «١» [على درك] «٢» الحق بالتّوفيق، و ثبّت أقدامنا على مقامات الصّدق و حقائق التّحقيق، بفضلك وجودك العميم، إنّك أنت الوهّاب الكريم.

- منكره، حاضرا معروفه، مقبلا خيره، مدبرا شرّه.

في الزّلازل وقور، و في المكاره صبور، و في الرّخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، و لا يأثم فيمن يحبّ، يعترف بالحقّ قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، و لا ينسى ما ذكّر، و لا ينابز بالألقاب، و لا يضارّ بالجار، و لا يشمت بالمصائب، و لا يدخل في الباطل، و لا يخرج من الحقّ، إن صمت لم يغمّه صمته، و إن ضحك لم

يعل صوته، و إن بغي عليه صبر حتّى يكون اللّه هو الذي ينتقم له.

نفسه منه في عناء، و النّاس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، و أراح النّاس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه زهد و نزاهة، و دنوّه ممّن دنا منه لين و رحمة، ليس تباعده بكبر و عظمة، و لا دنوّه بمكر و خديعة».

قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أما و اللّه لقد كنت أخافها عليه» ثمّ قال: «أ هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها؟»، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: «ويحك، إنّ لكلّ أجل وقتا لا يعدوه، و سببا لا يتجاوزه، فمهلا، لا تعد لمثلها، فإنّما نفث الشّيطان على لسانك».

(١) «د» «م»: و وفّقنا.

(٢) «د»: لدرك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٤٣

الفصل الثالث فى المنافيات [الصلاة]

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٤٥

الفصل الثّالث: في المنافيات

و هي في هذا المقام ما أبطلت الصّلاة، أو نقصت كمالها من جهات قلبيّة.

و هي تنقسم إلى «منافيات الكمال»، و إلى «منافيات الصّحّة».

[في منافيات الكمال]

و ضابط القول «١»: ما ينافي الإقبال بالقلب على اللّه تعالى من حديث النّفس، و الالتفات إلى أمر دنيويّ، بل الفكر في غير متعلّق الصّلاة، و إن كان اخرويّا، فإنّه من دقائق مكائد الشّيطان؛ فإنّ المطلوب للّه تعالى و الموجب للقبول إنّما هو الإقبال على كلّ فعل من أفعالها حال الاشتغال فيه؛ كما نبّه عليه بقوله صلّى اللّه عليه و آله: (و إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك) «٢».

و يدخل في هذا القسم ما عدّه الفقهاء من المكروهات كمدافعة الأخبثين و النّعاس، و التّنخّم، و البصاق، و العبث، و غيرها، فإنّها مشتركة في مضادّة الإقبال، و منافية للخشوع.

[في منافيات الصّحّة]

و أمّا منافيات الصّحّة؛ فضابطها منافاة الإخلاص، و استكثار الطّاعة، و يدخل في الأوّل: الرّياء «٣» بأقسامه، و في الثّاني: العجب. و الكلام في كلّ منهما

---

(١) «ح» «د»: الأوّل.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٢٨٥، المحجّة البيضاء ١: ٣٦٦ بيسير اختلاف.

(٣) قال بعض المحقّقين: اعلم أنّ الرّياء مشتقّ من «الرّؤيا» و السّمعة مشتقّة من «السّماع» و إنّما الرّياء أصله:

طلب المنزلة في قلوب النّاس بإراءتهم خصال الخير، إلاّ أنّ الجاه و المنزلة يطلب في القلب بأعمال سوى العبادات و يطلب بالعبادات، و اسم الرّياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١۴۶

مستوفى، و ذكر أقسامهما و أحكامهما يخرج عن وضع الرّسالة، لكنّا نذكر المهمّ.

[فى الرياء و أقسامه]

فاعلم أنّ الوعيد على ها تين الآفتين في الكتاب و السّنّة كثير يخرج عن حدّ

– و إظهارها، فحدّ الرّياء هو: إرادة المنزلة بطاعة اللّه تعالى، فالمرائي هو العابد و المراعى هو النّاس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم، و المرائى به هو الخصال الّتي قصد المرائي إظهارها، و الرّياء هو قصد إظهار ذلك، و المرائى به كثيرة، و يجمعها خمسة أقسام؛ و هي مجامع ما يتزيّن العبد به للنّاس، و هو البدن، و الزّيّ، و القول، و العمل، و الأتباع، و الأشياء الخارجة و لذلك أهل الدّنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة، إلاّ أنّ طلب الجاه و قصد الرّياء بأعمال ليست من جملة الطّاعات أهون من الرّياء بالطّاعات.

و الأوّل: الرّياء في الدّين من جهة البدن، و ذلك بإظهار النّحول و الصفار، ليوهم بذلك شدّة الاجتهاد، و عظم الحزن على أمر الدّين، و غلبة خوف الآخرة، و ليدلّ بالنّحول على قلّة الأكل، و بالصّفار على سهر اللّيل و كثرة الأرق في الدّين، و كذلك يرائي بتشعّث الشّعر ليدلّ به على استغراق الهّم بالدّين، و عدم التّفرّغ لتسريح الشّعر، و يقرب من هذا خفض الصّوت، و إغارة العينين، و ذبول الشّفتين، فهذه مراءاة أهل الّدين في البدن.

و أمّا أهل الدنيا؛ فيراؤن بإظهار السّمن، و صفاء اللون، و اعتدال القامة، و حسن الوجه، و نظافة البدن، و قوّة الأعضاء.

و ثانيها: الرّياء بالزّيّ و الهيئة؛ أمّا الهيئة، فتشعّث شعر الرّأس، و حلق الشّارب، و إطراق الرّأس في المشي، و الهدوّ في الحركة، و إبقاء أثر السّجود على الوجه، و غلظ الثّياب، و لبس الصّوف، و تشميرها إلى قريب من نصف السّاق، و تقصير الأكمام، و ترك تنضيف الثّوب، و تركه مخرقا. كلّ ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنّه يتّبع السّنّة فيه، و مقتد فيه بعباد اللّه الصّالحين.

و أمّا أهل الدّنيا؛ فمراءاتهم بالثّياب النّفيسة، و المراكب الرّفيعة، و أنواع التّوسّع و التّجمّل.

الثّالث: الرّياء بالقول، و رياء أهل الدّين بالوعظ، و التّذكير و النّطق بالحكمة، و حفظ الأخبار و الآثار لأجل الاستعمال في المحاورة؛ إظهارا لغزارة العلم، و لدلالته على شدّة العناية بأقوال السّلف الصّالحين، و تحريك الشّفتين بالذّكر في محضر النّاس، و الأمر بالمعروف، و النّهي عن المنكر بمشهد الخلق، و إظهار الغضب للمنكرات، و إظهار الأسف على مقارفة النّاس بالمعاصي، و تضعيف الصّوت في الكلام.

و أمّا أهل الدّنيا؛ فمراءاتهم بالقول بحفظ الأمثال و الأشعار، و التّفاصح في العبارات، و حفظ النّحو الغريب للأعراب على أهل الفضل، و إظهار التّودّد إلى النّاس، لاستمالة

القلوب.

الرّابع: الرّياء في العمل كمراءاة المصلّي بطول القيام و مدّه، و تطويل الرّكوع و السّجود،-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٤٧

الحصر، قال اللّه تعالى: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ» «١».

و قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ النّار و أهلها يعجّون من أهل الرّياء) فقيل: يا رسول اللّه، و كيف تعجّ النّار؟ قال: (من حرّ النّار الّتي يعذّبون بها) «٢».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله، قال: (المرائي يوم القيامة ينادى بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، ضلّ سعيك، و بطل أجرك، و لا خلاق لك، التمس الأجر ممّن كنت تعمل له، يا مخادع) «٣» «٤».

- و إطراق الرّأس، و ترك الالتفات، و إظهار الهدوّ و السّكون، و تسوية القدمين و

اليدين، و كذلك بالصّوم و بالحج و بالصّدقة و بإطعام الطعام، و بالإخبات بالشّيء عند اللّقاء؛ كإرخاء الجفون، و تنكيس الرّأس و الوقار في الكلام، حتّى أن المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته؛ فإذا اطّلع عليه واحد من أهل الدّين رجع إلى الوقار، و إطراق الرّأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة، و قلّة الوقار؛ فإن غاب الرّجل عاد إلى عجلته، فإذا رآه عاد إلى خشوعه، و منهم من يستحيي أن يخالف مشيته في الخلوة لمشيته بمرئى من النّاس، فيكلّف نفسه المشية الحسنة في الخلوة، حتّى اذا رآه النّاس لم يفتقر إلى التّغيير، و يظنّ أنّه تخلّص به من الرّياء، و قد تضاعف به رياؤه، فإنّه صار في خلواته أيضا مرائيا.

و أمّا أهل الدّنيا؛ فمراءاتهم بالتّبختر و الاختيال، و تحريك اليدين، و تقريب الخطا، و الأخذ بأطراف الذّيل، و ادارة العطفين، ليدلّوا بذلك على الجاه و الحشمة.

الخامس: المراءاة بالأصحاب و الزّائرين و المخالطين؛ كالّذي يتكلّف أن يزور عالما من العلماء، ليقال: إنّ فلانا قد زار فلانا، أو عابدا من العبّاد لذلك، أو ملكا من الملوك، و أشباهه ليقال: إنّهم يتبرّكون به، و كالّذي يكثر ذكر الشّيوخ، ليرى أنّه لقي شيوخا كثيرا، و استفاد منهم، فيباهي بشيوخه؛ و منهم من يريد انتشار الصّيت في البلاد، لتكثر الرّحلة إليه. و منهم من يريد الاشتهار عند الملوك، لتقبل شفاعته. و منهم من يقصد التّوصّل بذلك إلى جمع حطام، و كسب مال، و لو من الأوقاف، و

أموال اليتامى، و غير ذلك. بحار الأنوار ٢: ٢٦٦- ٢٦٨.

(١) الماعون: ٤- ٦.

(٢) بحار الأنوار ٧٢: ٣٠٥.

(٣) «ح»: خادع.

(٤) أمالي الصّدوق: ٣٤٦، بحار الأنوار ٧٢: ٢٩٥، ٣٠٣ و ليس فيهما: يا مخادع.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٤٨

و عنه صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ اللّه تعالى يقول: «أنا أغنى الأغنياء عن الشّرك، من عمل عملا فأشرك فيه غيري فنصيبي له، فأنا لا أقبل إلاّ ما كان خالصا لي») «١».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ الجنّة تكلّمت و قالت: إنّي حرام على كلّ بخيل و مراء) «٢».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ أوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، و رجل قاتل «٣» في سبيل اللّه، و رجل كثير المال، فيقول اللّه عزّ و جلّ للقارىء: ألم اعلّمك ما أنزلت على رسولي؟ فيقول: بلى يا ربّ، فيقول: ما عملت

فيما علمت؟

فيقول: يا ربّ، قرأته «٤» في آناء اللّيل و أطراف النّهار، فيقول اللّه: كذبت، و تقول الملائكة: كذبت، و يقول اللّه تعالى: إنّما أردت أن يقال فلان قارىء، فقد قيل ذلك. و يؤتى بصاحب المال، فيقول اللّه تعالى: ألم اوسّع عليك حتّى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ فيقول: بلى يا ربّ، فيقول: فما عملت فيما آتيتك؟ قال «٥»:

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٧٢: ٢٨٢ بيسير اختلاف، و مثله عن عليّ بن سالم، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: (قال اللّه عزّ و جلّ: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله، لم أقبله إلاّ ما كان لي خالصا) [الكافي ٢: ٢٩٥]. قال العلاّمة المجلسيّ في بيانه:

«أنا خير شريك» لأنّه سبحانه غنيّ لا يحتاج إلى الشّركة، و إنّما يقبل الشّركة من لم يكن غنيّا بالذّات، فلا يقبل العمل المخلوط لرفعته و غناه. أو المراد: أنّي محسن إلى الشّركاء؛ أدع إليهم ما كان مشتركا بيني و بينهم و لا أقبله.

و قيل: إنّ هذا الكلام مبنيّ على التّشبيه، و الاستثناء في قوله: «إلاّ ما كان» منقطع.

بحار الأنوار ٧٢: ٢٨٨.

(٢) ٧٢: ٣٠٥.

(٣) في المصدر: قتل.

(٤) «د» و المصدر: قمت به.

(٥) «ب»: فيقول.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٤٩

كنت أصل الرّحم و أتصدّق، فيقول اللّه تعالى: كذبت، و تقول الملائكة: كذبت، و يقول اللّه سبحانه: بل أردت أن يقال فلان جواد، و قد قيل ذلك. و يؤتى بالّذي قتل في سبيل اللّه، فيقول اللّه: ما فعلت؟ فيقول: امرت بالجهاد في سبيلك، فقالت حتّى قتلت، فيقول اللّه تعالى: كذبت، و تقول الملائكة: كذبت، فيقول اللّه تعالى:

بل أردت أن يقال فلان جرئ، شجاع، فقد قيل ذلك، ثمّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اولئك خلق اللّه، تسعر بهم نار جهنّم) «١».

و عن الصّادق عليه السّلام: (إيّاك و الرّياء؛ فإنّه من عمل لغير اللّه و كله اللّه إلى من عمل له) «٢».

و عنه عليه السّلام في قول اللّه عزّ و جلّ: «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً» «٣» قال: (الرّجل يعمل شيئا من الثّواب لا يطلب به وجه اللّه، إنّما يطلب تزكية النّاس «٤»؛ يشتهي أن يسمع به النّاس، فهذا الّذي أشرك بعبادة ربّه) ثمّ قال: (ما من عبد أسرّ خيرا فذهبت الأيّام أبدا حتّى يظهر اللّه له خيرا، و ما من عبد يسرّ «٥» شرّا فذهبت الأيّام أبدا حتّى يظهر اللّه له شرّا) «٦». و الأثر في ذلك يطول «٧».

و قال اللّه تعالى في ذمّ العجب «٨»: «وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ» «٩»

---

(١) بحار الأنوار ٧٢: ٣٠٥.

(٢) الكافي ٢: ٢٩٣، بحار الأنوار ٧٢: ٢٦٦.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) «ح» «د»: النّفس.

(٥) «ح» «د»: أسرّ.

(٦) الكافي ٢: ٢٩٣، بحار الأنوار ٧٢: ٢٨٢.

(٧) و من أراد الوقوف على مزيد الأخبار في ذلك؛ فليراجع: بحار الأنوار ٧٢: ٢٦٥- ٣٠٥.

(٨) قال العلاّمة المجلسيّ في بيان معنى العجب:

العجب: استعظام العمل الصّالح و استكثاره، و الابتهاج له، و الإدلال به، و أن يرى نفسه خارجا-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٠

ذكر ذلك في معرض الإنكار.

و قال تعالى: «وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» «١» و هو أيضا راجع إلى العجب بالعمل «٢» على وجه.

و قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، و هوى متّبع، و إعجاب المرء بنفسه) «٣».

و قال الصّادق عليه السّلام: (من دخله العجب هلك) «٤».

و عنه عليه السّلام: (العجب درجات، منها أن يزيّن للعبد سوء عمله، فيراه حسنا فيعجبه و يحسب أنّه يحسن صنعا) «٥».

و عنه عليه السّلام قال: (أتى عالم عابدا، فقال له: كيف صلاتك؟

فقال: مثلي يسأل عن صلاته و أنا منذ كذا و كذا أبكي؟ قال: كيف بكاؤك؟ قال:

أبكي حتّى تجري دموعي، فقال له العالم: فإنّ ضحكك و أنت خائف خير من بكائك و أنت مدلّ «٦»، إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء) «٧».

- عن حدّ التّقصير. و أمّا السّرور به مع التّواضع له تعالى و الشّكر له على التّوفيق لذلك، و طلب الاستزادة منه، فهو حسن ممدوح.

و قال الشّيخ البهائي: لا ريب أنّ من عمل أعمالا صالحة من صيام الأيّام، و قيام اللّيالي، و أمثال ذلك، يحصل لنفسه ابتهاج؛ فإن كان من حيث كونها عطيّة من اللّه له، و نعمة منه تعالى عليه، و كان مع ذلك خائفا من نقصها، شفيقا من زوالها، طالبا

من الله الازدياد منها، لم يكن ذلك الابتهاج عجبا، و إن كان من حيث كونها صفته و قائمة به و مضافة إليه، فاستعظمها و ركن إليها و رأى نفسه خارجا عن حدّ التّقصير، و صار كأنّه يمنّ على اللّه سبحانه بسببها، فذلك هو العجب. بحار الأنوار ٧٢: ٣٠٦ التّوبة: ٢٥.

(١) الكهف: ١٠٣.

(٢) «م»: في العمل.

(٣) المحاسن ١: ٣ حديث ٣، الخصال ١: ٤١، عدّة الدّاعي: ٢٢١، بحار الأنوار ٧٢: ٣١٤.

(٤) أمالي الصّدوق: ٣٦٣، بحار الأنوار ٧٢: ٣٠٩، ٣١٤.

(٥) معاني الأخبار: ٢٤٣، بحار الأنوار ٧٢: ٣١٠، ٣١٧، ج ٧٨: ٣٣٦.

(٦) «د»: تدلّ.

(٧) الكافي ٢: ٣١٣، بحار الأنوار ٧٢: ٣٠٧، ٣١٧.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥١

و عن أحدهما عليهما السّلام قال: (دخل المسجد رجلان أحدهما عابد و الآخر فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق

صدّيق، و العابد فاسق، و ذلك انه يدخل المسجد العابد مدلاّ بعبادته يدلّ بها، فتكون فكرته في ذلك و تكون فكرة الفاسق في النّدم على فسقه و يستغفر اللّه عزّ و جلّ ممّا صنع من الذّنوب) «١».

و قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (قال اللّه تعالى لداود عليه السّلام: يا داود، بشّر المذنبين، و أنذر الصّدّيقين، قال: كيف ابشّر المذنبين، و انذر الصّدّيقين؟

قال: يا داود، بشّر المذنبين أنّي أقبل التّوبة، و أعفو عن الذّنب، و أنذر الصّدّيقين ألاّ يعجبوا بأعمالهم، فإنّه ليس عبد يعجب بالحسنات إلاّ هلك) «٢».

و اعلم أنّ الرّياء على ضربين: رياء محض، و رياء مخلط «٣»:

[في بيان الرياء المحض]

فالمحض: أن يريد بعمله نفع الدّنيا، و هو أعمّ من أن يتوصّل به إلى محرّم أو مباح، أو الحذر من أن ينظر إليه بعين النّقص و لا يعدّ من الخاصّة.

[في بيان الرياء المخلط]

و المخلط «٤»: أن يقصد به ذلك مع التّقرّب إلى اللّه تعالى. و كلاهما مفسد للعمل، بل الأوّل ساقط عن درجة البحث و الاعتبار، و الثّاني هو الإشراك للّه تعالى في العبادة الّتي قد تقدّم أنّه يتركها لشريكه. و هذا هو الشّرك الخفيّ في هذه الامّة الّذي أشار إليه النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله بأنّه في امّته فاش «٥».

ثم المقصود هنا «٦» ليس هو البحث عن الفعل الّذي يقع ابتداءا رياءا، لأنّ ذلك باطل في نفسه و لا يعرض لقلوب العارفين، و إنّما الكلام هنا فيما يبتدىء

---

(١) الكافي ٢: ٣١٤، علل الشّرائع ٢: ٤٣، بحار الأنوار ٧٢: ٣١١، ٣١٦.

(٢) الكافي ٢: ٣١٤، عدّة الدّاعي: ٢٢٢، بحار الأنوار ٧٢: ٣١٣ و في بعضها: (فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك).

(٣، ٤) «ح»: مختلط.

(٥) انظر: بحار الأنوار ٧٢: ٢٦٥- ٣٠٥ فإنّ فيه من الأخبار ما يدلّ على هذا المعنى.

(٦) «د»: هاهنا، «م»: هناك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٢

الإنسان به من العبادة خالصا للّه تعالى لا يريد به غيره، ثمّ يعرض له ما ينافي الإخلاص على وجه الشّوب «١» اللّطيف الّذي ينبغي التّنبيه عليه في مثل هذا المقام.

و هو يأتي على وجوه؛ بعضها جليّ، و بعضها خفيّ.

[فى بيان الدواء النافع لهما]

أحدها: أن يعقد الصّلاة مثلا على الإخلاص المحض «٢»، و الطّاعة، و الإقبال على اللّه تعالى بها، و هو خال من نظر النّاس إليه، فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر، فيقول له الشّيطان: زد صلاتك حسنا حتّى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار و الصّلاح و لا يزدريك و لا يغتابك، فتخشع جوارحه، و تسكن أطرافه، و تحسن صلاته. و هذا هو الرّياء الطّارىء الظّاهر الّذي لا يخفى على المبتدئين «٣» من المريدين، و لكنّه في الجملة من شوائب القرب، و منافي

الإخلاص.

و ثانيها: أن يكون قد فهم هذه الآفة و أخذ منها حذره، فصار لا يطيع «٤» الشّيطان فيها، و لا يلتفت إليه، و يستمرّ في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير، فيقول «٥»: أنت متبوع، و مقتدى بك، و منظور إليك، و ما تفعله يؤثر عنك، و يتأسّى بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت، و عليك الوز إن أسأت، فأحسن عملك، فعساه أن يقتدى بك في الخشوع و تحسين العبادة، فتكون شريك من اقتدى بك، و هلمّ جرّا، للحديث المشهور: (إنّ من سنّ سنّة حسنة فله أجرها و أجر من يعمل بها إلى يوم القيامة) «٦».

---

(١) الشّوب: الخلط: يقال: شابه شوبا، أي: خلطه؛ مثل: شوب الماء باللّبن. مجمع البحرين ١: ٥٥٧ مادّة (شوب).

(٢) المحض: الخالص الّذي لم يخالطه شيء. مجمع البحرين ٢: ١٧٥ مادّة (محض).

(٣) «ب»: المبتدين.

(٤) «ح»: يتبع.

(٥) «م» «ب»: و يقول.

(٦) الكافي ٥: ٩ حديث ١، بحار الأنوار ٧١: ٢٥٨.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٣

و هذه المكيدة أعظم من الاولى و أدقّ، و قد ينخدع بها من لا ينخدع بالاولى، و هو أيضا عين الرّياء، و مبطل الإخلاص «١» فإنّه إن «٢» كان يرى الخشوع و حسن العبادة خيرا لا يرتضي لغيره تركه، فلم يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة؟ و لا يمكن أن تكون نفس غيره أعزّ عليه من نفسه! فهذا عين التّلبيس، بل المقتدى به هو الّذي استقام في نفسه، و استنار قلبه، فانتشر نوره إلى غيره، فيكون له الثّواب عليه.

و أمّا فعل الأوّل؛ فمحض النّفاق و التّلبيس، فيطالب يوم القيامة بتلبيسه، و يعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متّصفا به، و إن اثيب المقتدي به.

و ثالثها- و هو أدقّ ممّا قبله-: أن يتنبّه «٣» العبد لذلك، و أنّه مكيدة من الشّيطان، و يعلم أنّ مخالفته بين الخلوة و المشاهدة للغير محض الرّياء، و يعلم أنّ الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ، و يستحيي من نفسه و من ربّه أن يخشع لمشاهدة خلقه تخشّعا زائدا على عادته، فيقبل على نفسه في الخلوة، و يحسّن صلاته على الوجه الّذي يرتضيها في الملأ، و يصلّي أيضا في الملأ كذلك للعلّة المذكورة.

و هذا أيضا من الرّياء الغامض، لأنّه حسّن صلاته في الخلوة ليحسن «٤» في الملأ؛ فلا يكون قد فرّق بينهما بالتّفاوت في الخلوة و الملأ إلى الخلق، بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته و مشاهدة الخلق على و تيرة واحدة، فكان نفس صاحب هذه الخطرة «٥» ليست تسمح بإساءة الصّلاة بين النّاس، ثمّ يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، و يظنّ بأنّ ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلاء و الملأ.

(١) «م»: للإخلاص.

(٢) «ح»: إذا.

(٣) «ح»: ينتبه، «م»: ينبّه.

(٤) «د»: لتحسن صلاته.

(٥) يريد بها: ما يقع في الخاطر.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٤

و هيهات، بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات و البهائم في الخلاء و الملأ جميعا.

و هذا شخص مشغول الهمّ بالخلق في الخلاء و الملأ جميعا. و هذا من المكائد الخفيّة، و إلى هذا المعنى الإشارة في الحديث النّبويّ: (لا يكمل إيمان العبد حتّى يكون النّاس عنده بمنزلة الأباعر) «١» فتأمّل.

و رابعها- و هو أدقّ و أخفى-: أن ينظر إليه النّاس و هو في صلاته، فيعجز الشّيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم، فإنّه

قد عرف أنّه لا يصغي لذلك، فيقول له الشّيطان: تفكر في عظمة اللّه و جلاله، و من أنت واقف بين يديه، و استح أن ينظر اللّه إلى قلبك و أنت غافل عنه، فيحضر بذلك قلبه، و تجتمع «٢» جوارحه، و يظنّ أنّ ذلك عين الإخلاص، و هو عين المكر و الخداع، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جلال اللّه و عظمته، لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة، و لكان لا يختصّ حضورها بحالة حضور غيره.

و علامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممّا يألفه في الخلوه كما يألفه في الملأ، و لا يكون حضور الغير هو السّبب في حضور الخاطر، كما لا يكون حضور البهيمة سببا، فما دام يفرّق في أحواله بين مشاهدة الإنسان و مشاهدة بهيمة، فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص، مدلّس الباطن بالشّرك الخفيّ من الرّياء.

و هذا الشّرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النّملة السّوداء، في اللّيلة الظّلماء، على الصّخرة الصّمّاء. كما ورد به الخبر «٣».

(١) عدّة الدّاعي: ٣٠٤ و اللّفظ فيه: (يا أبا ذر، لا يفقه الرّجل كلّ الفقه، حتّى يرى النّاس أمثال الأباعر؛ فلا يحفل بوجودهم، و لا يغيّره ذلك، كما لا يغيّره وجود بعير عنده).

(٢) «ب»: تجمع.

(٣) انظر: الخصال ١: ٦٧ بحار الأنوار ٧٣: ٩٣، ٩٦.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٥

و لا «١» يسلم من الشّيطان إلاّ من دقّ «٢» نظره، و سعد بتوفيق اللّه تعالى و هدايته، و إلاّ فالشّيطان ملازم للمتشمّرين لعبادة اللّه تعالى، لا يغفل عنهم لحظة حتّى يحملهم على المهالك في كلّ حركة من الحركات، حتّى في كحل العين، و قصّ الشّارب، و طيب يوم الجمعة، و لبس الثّياب الفاخرة «٣»؛ فإنّ هذه سنن في أوقات مخصوصة، لكن للنّفس «٤» فيها حظّ خفيّ، لارتباط نظر الخلق بها، فيدخل الشّيطان فيها عليه من «٥» المداخل إن

لم يتيقّظ.

و لهذا قيل: ركعتان من عالم، أفضل من عبادة سنة من جاهل «٦».

و اريد به: العالم البصير بدقائق آفات العبادة، حتّى يخلص عنها، لا مطلق العالم، فإنّ مداخل الشّيطان على كثير «٧» من العلماء أعظم «٨» من مداخله على الجهلاء.

و خامسها: أن يكمل العبادة على الإخلاص المحض و النّيّة الصّالحة، لكن عرض له بعد الفراغ منها حبّ إظهارها، ليحصل له بعض الأغراض المحقّقة للرّياء خديعة من الشّيطان له أنّه قد أكمل العبادة الخالصة، و قد كتبها اللّه في ديوان المخلصين، فلا يقدح فيها ما يتجدّد «٩»، و إنّما ينضمّ إلى ما حصله بها من الخير

---

(١) «ب»: فلا.

(٢) يقال: دقّ الأمر دقّة: إذا غمض و خفي معناه، و لا يكاد يفهمه الأذكياء. مجمع البحرين ١: ٤٦ مادّة (دقق).

(٣) ليست في «ب» «م».

(٤) «ح»: في النّفس.

(٥) ليست في «ب» «م».

(٦) انظر: نهج الفصاحة: ٣٥٠ فإنّ فيه ما يدلّ على هذا المعنى.

(٧) «م»: الكثير.

(٨) «ب»: أكثر.

(٩) «م»: تجدّد.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٦

الآجل خير آخر عاجل، فيحدث به و يظهره لذلك.

فهذا أيضا مفسد للعمل و إن سبق، كما يفسده العجب المتأخّر، و يدخل في زمرة الّذين قال اللّه تعالى عنهم: «**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمٰالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**» (١).

و قد روي أنّ رجلا قال للنّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: صمت

الدّهر يا رسول اللّه؟ فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: (ما صمت و لا أفطرت) «٢».

و روي عن ابن مسعود أنّه سمع رجلا يقول: قرأت البارحة البقرة؟ قال:

ذلك حظّه، بل لو كنت باقيا على إخلاصك فيه، فقد نقصت منه تسعة و ستّين جزءا من سبعين. على ما روي عنهم عليهم السّلام: (إنّ فضل عمل السّرّ على عمل الجهر سبعون ضعفا) «٣».

و عن الصّادق عليه السّلام: (من عمل حسنة سرّا كتبت له سرّا، فإذا أقرّ بها محيت و كتبت جهرا، فإذا أقرّ بها ثانية محيت و كتبت رياءا) «٤» «٥».

فيا لها من كلمة ما أشأمها، و رزيّة ما أعظمها، حيث نقص بها حظّك، و ضاع «٦» كدحك، و ليتك سلمت من تبعتها؛ فإنّ المرائي لا يسلم- كما قد

---

(١) الكهف: ١٠٣.

(٣) لم أعثر عليه في مكان.

(٣) عدّة الدّاعي: ٢٢٠.

(٤) عدّة الدّاعى: ٢٢١، بحار الأنوار ٧٢: ٣٢٤.

(٥) قال في «المرآة» في كلام له: إنّ رعاية العمل و حفظه عند الشّروع و بعده إلى الفراغ و بعد الفراغ إلى الخروج من الدّنيا حتّى يخلص عن الشّوائب الموجبة لنقصه أو فساده، أشدّ من العمل نفسه؛ كما عن أبي جعفر [الباقر] عليه السّلام أنّه قال: (الإبقاء على العمل أشدّ من العمل) قال: و ما الإبقاء على العمل؟ قال: (يصل الرّجل بصلة و ينفق نفقة للّه وحده لا شريك له، فيكتب له سرّا، ثمّ يذكرها فتمحى و تكتب له علانية، ثمّ يذكرها فتمحى و تكتب له رياءا، و من عرف معنى النيّة و خلوصها علم أنّ إخلاص النّيّة أشدّ من جميع الأعمال. هامش عدّة الدّاعي: ٢٢١ نقلا عن المرآة.

(٦) «د»: زيادة: بها.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٧

عرفت- من وعيده.

و هذا كلّه مع عدم تعلّق غرض صحيح في الآخرة بإذاعته،

أمّا معه- كما لو أراد بذلك تنشيط السّامع و ترغيبه في فعل الخير مع وثوقه بنفسه- فلا حرج فيه إذا لم يمكن تنشيطه بدونه، و إلاّ كان أولى.

و قد روى محمّد بن مسلم «١»، عن الباقر عليه السّلام، قال: (لا بأس أن تحدّث أخاك إذا رجوت أن تنفعه و تحثّه، و إذا سألك هل قمت اللّيلة أو صمت، فحدّثه بذلك إن كنت فعلته، فقل: قد رزق اللّه ذلك، و لا تقل لا، فإنّ ذلك كذب) «٢».

و من هنا جاء أفضليّة الصّدقة جهرا ليتأسّى به، و الإجهار بصلاة اللّيل زيادة على غيرها لينبّه «٣» أهله و جيرانه فيتأسّوا به، لكنّ ذلك كلّه موضع الخطر، فيجب الاحتراز و التّيقّظ بمراعاة القلب، و كما يكون الإظهار مظنّة الرّياء و مخطرته، كذلك الإخفاء؛ فإنّ فيه أيضا للشّيطان مداخل.

منها: أن يأمرك «٤» بترك العمل خوفا من أن تكون «٥» مرائيا به. و هذا من جملة خدائعه، و في ترك العمل كذلك «٦» تحصيل لغرضه، لأنّ غرضه الأقصى ترك العمل، و إنّما

يعدل بك إلى قصد الرّياء و غيره عند عجزه عن تثبيطك عن العمل،

---

(١) محمّد بن مسلم بن رباح الأوقص الطّحّان، مولى ثقيف الأعور، وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه، ورع، صحب أبا جعفر و أبا عبد اللّه عليهما السّلام، و روى عنهما، و كان من أوثق النّاس؛ قال الصّادق عليه السّلام: (أحبّ إليّ أحياءا و أمواتا أربعة: ... منهم محمّد بن مسلم) و هو من أصحاب الإجماع.

مات سنة ١٥٠ هـ رجال النجاشيّ: ٣٢٤، رجال الطّوسيّ: ١٣٥، رجال الكشّيّ: ١٦١.

(٢) بحار الأنوار ٧٢: ٣٢٢.

(٣) «ب»: لتنبيه.

(٤) «د»: يأمره.

(٥) «د»: يكون.

(٦) «م»: لذلك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٥٨

و تزهيدك فيه، فإذا تركته فقد «١» حصّلت غرضه، و مثالك

في ذلك مثال من سلّم إليه مولاه حنطة فيها تراب، و قال: خلّصها من التّراب و نقّها منه تنقية بالغة، فيترك أصل العمل و يقول: أخاف إن اشتغلت به لم يخلص خلاصا صافيا، فيترك العمل من أصله.

و هذا تمام الغرض لإبليس اللّعين، و غاية القصد، فقد حصّلت امنيته، و أرحته من التّعب بك في إفساد العمل. و إنّما سبيلك أن تجتهد في تخليص عملك بالأدوية النّافعة، و تحصيل مراد مولاك.

و منها: أن يأمره بترك العمل أيضا لا لذلك، بل خوفا على النّاس أن يقولوا:

إنّه مراء، فيعصون اللّه به. و هذا أيضا مع ما قبله رياء خفيّ، من مكائد الشّيطان، لأنّ ترك العمل خوفا من قولهم: إنّه مراء، عين الرّياء، و لو لا حبّه لمحمدتهم «٢»، و خوفه من ذمّهم، فماله و لقولهم، قالوا: إنّه مراء، أو قالوا: إنّه مخلص؟!.

و أيّ فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال: إنّه مراء، و بين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال: إنّه غافل مقصّر؟ بل

ترك العمل أشدّ من ذلك، و فيه مع ذلك إساءة الظن بالمسلمين، و ما كان من حقّه أن يظنّ بهم ذلك.

ثمّ كيف تطمع أن تتخلّص من الشّيطان بترك العمل و قد أطعته فيه، فإنّه لا يخليك أيضا، بل يقول لك: الآن يقول النّاس: إنّك تركت العمل ليقال إنّك مخلص لا تشتهي الشّهرة. إلى غير ذلك من اللّعب بك.

و إنّما خلاصك من ذلك كلّه أن تلزم قلبك معرفة آفات الرّياء و ضرره، لتلزم كراهته، و تستمرّ مع ذلك على العمل و لا تبالي، و تلزم قلبك الحياء من اللّه تعالى؛ إذ دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمد اللّه تعالى حمد المخلوقين و هو مطّلع على قلبك، و لو

---

(١) «ح»: فإذن.

(٢) «م»: لمدحهم.

اطلع الخلق على قلبك و أنّك تريد حمدهم لمقتوك، بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربّك و عقوبة لنفسك فافعل.

و منها: أن يقول له: اترك العمل لئلاّ يظنّ النّاس بك خيرا و تشتهر به، و أحبّ العباد إلى اللّه: الأتقياء، الأخفياء الّذين إذا شهدوا «١» لم يعرفوا، فإذا عرفت بين النّاس بالعبادة لم يكن لك حظّ من هذا الوصف.

و هذه «٢» أيضا من مكائده، و ما عليك إذا أخلصت العمل للّه تعالى أن تعرف به أو تجهل؟ و إنّما عليك مراعاة قلبك، و إصلاح سرّك «٣»، و كيف تخفى على النّاس إذا كنت صالحا، و هو تعالى يقول: (عليك إخفاؤه، و عليّ إظهاره) و يقول: (من أصلح سريرته، أصلح اللّه علانيته) «٤».

و إيّاك أن يغرّك اللّعين عند ذلك، و يقول: إذا كنت لا تترك العمل لذلك فاخف العمل، فإنّ اللّه تعالى سيظهره عليك، و أمّا إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرّياء.

و هذا التّلبيس عين الرّياء، لأنّ إخفاءك له كي يظهر عليك بين النّاس هو بعينه العمل لأجل النّاس، و ما عليك إذا كان مرضيا للّه تعالى أن يظهر أو يخفى لو لا نظرك إلى رضا النّاس؟

إذا تقرّر ذلك؛ فإيّاك أن تحملك دقائق الإخلاص و صعوبة الخلاص على الكسل و القعود عن الطّاعات نظرا إلى ما تجده «٥» في نفسك من السّرور بالطّاعة «٦»،

---

(١) أي: إذا حضروا.

(٢) «م»: و هذا.

(٣) «م»: أمرك.

(٤) نهج البلاغة، لصبحي الصّالح: ٥٥١ حديث ٤٢٣، عدّة الدّاعي: ٢١٦. سفينة البحار ١: ٦١٣؛ كما روي عن النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (من أصلح أمر آخرته، أصلح اللّه أمر دنياه، و من أصلح ما بينه و بين اللّه، أصلح اللّه ما بينه و بين النّاس).

(٥) «ب» «م»: يحدث.

(٦) «م»: بالطّاعات.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٦٠

و زيادة الابتهاج باطّلاع النّاس عليك بفعل العبادة، بل اجتهد في قلع «١» مادّة الفساد، و مجاري الشّيطان عنك، و اعمل.

[فى السرور بالطاعة و أقسامه]

و أمّا سرورك بالطّاعة؛ فإنّ منه محمودا، و منه مذموما.

[السرور بالطاعة المحمود]

فالمحمود: أن يكون من قصدك و داعيتك «٢» إخفاء الطّاعة و الإخلاص للّه سبحانه، و لست مستكثرا لعملك، و إنّما سرورك في أن وفّقك للعمل، و أخرجك من ربقة «٣» البطّالين و الغافلين، و لم تبلغ بالسّرور حدّ العجب- الآتي ذكره- و إذا حصل اطّلاع النّاس عليه فلم يحصل من قبلك، و إنّما سررت باطّلاعهم نظرا إلى أنّ اللّه سبحانه هو الّذي أطلعهم عليه، و أظهر لهم الجميل، تكرّما عليك و تفضّلا، و نحو ذلك.

[السرور بالطاعة المذموم]

و المذموم: أن تفرح به استكثارا و ركونا إليه، و بظهور النّاس عليه لقيام منزلتك عندهم ليمدحوك و يقوموا بقضاء حوائجك، و يقابلوك «٤» بالإكرام، و نحو ذلك، فإنّه رياء محض، و مبطل «٥» للعمل، و أصله حبّ الدّنيا، و نسيان الآخرة، و قلّة التّفكّر فيما عند اللّه.

نسأل «٦» اللّه من فضله أن لا يعاملنا بعدله، بل يسامحنا بعفوه، و يستر زلاّتنا بصفحه، إنّه جواد كريم.

[فى بيان العجب و أقسامه]

و أمّا العجب؛ فهو استعظام العمل، و الابتهاج به، و الإدلال به، و أن يرى

---

(١) «ب»: قطع.

(٢) «ب»: دواعيك، «ح»: داعيك.

(٣) الرّبقة: حبل مستطيل فيه عرى تربط فيه صغار البهم، نوضع في أعناقها أو يدها تمسكها. فاستعير ذلك للإسلام؛ بأن جعل الإسلام الجامع للمسلمين بمنزلة ذلك

الحبل، و نصيب ما استحقّ كلّ مسلم بمنزلة عروة من تلك العرى. مجمع البحرين ١: ١٣٧ مادّة (ربق).

(٤) «د»: يعاملوك.

(٥) «ح» «د» «م»: محيط.

(٦) «ب»: فنسأل.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٦١

العامل نفسه خارجة بسببه عن حدّ التّقصير.

و هذا من أعظم المهلكات، بل هو النّاقل للعمل من كفّة الحسنات إلى كفّة السّيّئات، و من رفيع الدّرجات إلى أسفل الدّركات- كما تقدّم في الأخبار.

و لذلك قال عيسى عليه السّلام: (يا معاشر الحواريّين «١»؛ كم من سراج قد أطفأته الرّياح، و كم من عابد أفسده العجب) «٢».

و روى سعيد بن أبي خلف «٣» عن الصّادق عليه السّلام قال: (عليك بالجدّ، و لا تخرجنّ نفسك من حدّ التّقصير

في عبادة اللّه و طاعته، فإنّ اللّه تعالى لا

---

(١) الحواريّون: هم صفوة الأنبياء الّذين خلصوا و أخلصوا في التّصديق بهم و نصرتهم، و قيل: سمّوا حواريّين، لأنّهم كانوا قصّارين يحوّرون الثّياب، أي: يقصّرونها و ينقّونها من الأوساخ و يبيّضونها، من الحور، و هو: البياض الخالص. و عن بعض الأعلام أنّهم لم يكونوا قصّارين على الحقيقة، و إنّما اطلق الاسم عليهم رمزا إلى أنّهم كانوا ينقّون نفوس الخلائق من الأوساخ الذّميمة، و الكدورات، و يرقّونها إلى عالم النّور من عالم الظّلمات.

و عن الرّضا عليه السّلام، و قد سئل: لم سمّي الحواريّون الحواريّين؟ قال: (أمّا عند النّاس؛ فإنّهم سمّوا الحواريّين، لأنّهم كانوا يقصّرون الثّياب من الوسخ بالغسل، و أمّا عندنا؛ فإنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم، و مخلصين لغيرهم من أوساخ الذّنوب).

قال بعض الأفاضل: أصل هذا الاسم لأصحاب عيسى عليه السّلام المختصّين به؛ و كانوا اثني عشر؛ منهم: ألوقا، و مرقالونين، و يوحنّا، و متّا، و منهم رسل عيسى عليه السّلام إلى أهل الطّائف. مجمع البحرين ١: ٥٩٥ مادّة (حور)، علل الشّرائع ١: ٧٦.

(٢) عدّة الدّاعي: ٢٢٣، بحار الأنوار ٧٢: ٣٢٢.

(٣) كذا في النّسخ، و الصّحيح- كما في كتب الرّجال، و مصدر الحديث-: سعد بن

أبي خلف؛ يعرف بـ «الزّام»؛ مولى بني زهرة بن كلاب، كوفيّ ثقة، روى عن أبي عبد اللّه و أبى الحسن عليهما السّلام، و له كتاب يرويه عنه جماعة. عدّه الشّيخ الطّوسيّ في رجاله تارة من أصحاب الصّادق عليه السّلام، بعنوان: سعد بن أبي خلف الزّهريّ مولاهم كوفيّ، و اخرى من أصحاب الكاظم عليه السّلام، بعنوان: سعد بن أبي خلف الزّام، ثقة. و قال في الفهرست: سعد بن أبي خلف الزّام، صاحب أبي عبد اللّه عليه السّلام، له أصل. رجال النّجاشيّ: ١٧٨، رجال الطّوسيّ: ٢٠٣، ٣٥١، الفهرست: ٧٦، تنقيح المقال: ٢: ١١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٦٢

يعبد حقّ عباد ته) «١».

[فى منشأ العجب]

و منشأ العجب: الغفلة عن عيوب الأعمال و آفات العبادات، و عن نعم اللّه تعالى على العالمين من الخلق و الأقدار و الألطاف و التّسخير و غير ذلك.

فانظر إلى الأقرب إليك في هذا المقام، و هو الصّلاة الّتي هي عمود الدّين، و أوّل ما ينظر فيه من أعمال ابن «٢» آدم، فإن

ردّت ردّ سائر عمله، و تأمّل في حدودها التي قد حكيناها مستندة «٣» إلى النّصوص الصّحيحة؛ فلا يكاد تسلم لك صلاة واحدة كاملة تثق من نفسك بقبول اللّه إيّاها، و هلمّ جرّا إلى غيرها من العبادات، فلكلّ واحد وظائف و حدود لا تبلغها أعمالنا، و لا نقوم بها لغفلتنا.

و قد قال عليّ عليه السّلام: (اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن لا يصبح و لا يمسي إلاّ و نفسه ظنون «٤» عنده، فلا يزال زاريا «٥» عليها و مستزيدا لها، فكونوا كالسّابقين قبلكم، و الماضين أمامكم قوّضوا «٦» من الدّنيا تقويض الرّاحل، و طووها طيّ المنازل) «٧».

فكيف يعجب الإنسان بعمله، أو يعدّه قائما بحقوق العبوديّة و وظائف الخدمة، لو لا استيلاء الغفلة؟! نعم، لا يقدح نظر المؤمن إلى نفسه، و سروره بما «٨»

---

(١) الكافي ١: ٧٢ حديث ١، عدّة الدّاعي: ٢٢٤، الوسائل ١: ٧١ الباب ٢٢ من أبواب مقدّمة العبادات، حديث ١، و فيه و في الكافي: عن أبي الحسن موسى عليه السّلام.

(٢) «م»: بني.

(٣) «ب»: مسندة.

(٤) الظّنون: الضّعيف و القليل الحيلة.

(٥) أي: عائبا.

(٦) التّقويض: نزع أعمدة الخيمة و أطنابها، و المراد أنّهم ذهبوا بمساكنهم و طووها مدّة الحياة؛ كما يطوي المسافر منازل سفره، أي: مراحله و مسافاته. نهج البلاغة (فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة): ٦٤٠.

(٧) نهج البلاغة، لصبحي الصّالح: ٢٥١.

(٨) «د»: ممّا.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٦٣

يفعله من العبادة مع حمد اللّه تعالى على توفيقه لها، و طلب الاستزادة من فضله؛ فقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام: (من سرّته «١» حسنة و ساءته سيئة، فهو مؤمن «٢»).

و قد قال عليه السّلام: (ليس منّا من لم يحاسب نفسه كلّ

يوم؛ فإن عمل خيرا حمد الله و استزاده، و إن عمل شرا استغفر الله) «٣».

فهذا ما اقتضى الحال ذكره من المنافيات ملخّصا، ليوافق الغرض؛ فإنّ ذكره هنا بالعرض، و اللّه الموفّق.

---

(١) السّرور بالحسنة لا يستلزم العجب؛ فإنّه يمكن أن يكون عند نفسه مقصّرا في الطّاعة، لكن يسرّ بأن لم يتركها رأسا، و كان هذا أولى مراتب الإيمان، مع أنّ السّرور الواقعيّ بالحسنة يستلزم السّعي في الإتيان بكلّ حسنة، و المساءة الواقعيّة بالسّيّئة يستلزم التّنفّر عن كلّ سيّئة، و الاهتمام بتركها، و هذان من كمال الإيمان. هامش عدّة الدّاعي: ٢٢٤ عن المرآة.

(٢) عدّة الدّاعي: ٢٢٤.

(٣) الاختصاص: ٢٤٣، عدّة الدّاعي: ٢٢٤، بحار الأنوار ٧٠: ٧٢ و ج ٧٨: ٣١١.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٦٥

الخاتمة

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٦٧

الخاتمة

و أمّا الخاتمة؛ ففيها بحثان:

الأوّل: في جبر الخلل الواقع في الصّلاة

، بمعنى بيان الدّواء النّافع «١» لهذه المنافيات.

اعلم أنّ الخلل إن كان من قبيل منافي الإقبال بالقلب على الصّلاة بسبب الأفكار الخارجة عنها فدواؤه تذكّر «٢» ما هو فيه، و من يناجيه، و استشعار الأخطار العظيمة اللّازمة من الغفلة، و عدم قبول العمل مع شدّة الحاجة إليه من يومه هذا إلى الأبد؛ فإنّ التّوفيق الواقع من الجناب الإلهي للمطيع فائض في الدّارين، و الحاجة إليه حاصلة في الحالين سيّما يوم الجزاء الّذي يضيق عن وصفه الحال، و لا يحيط بتقريره «٣» العقل و لا الخيال، و لا يطيق حمل أهواله «٤» الجبال، و ليس فيه معين مع رحمة اللّه و كرمه إلّا القيام بالأعمال الصّالحة، و الطّاعات المقبولة الرّابحة؛ فإنّها وسيلة إلى الأنوار، في تلك الظّلمة، و النّجاة من تلك الشّدّة، و

الجواز على عقبة السّاهرة «٥». و لا تكتسب «٦» الأعمال الصّالحة، [و الطّاعات المقبولة] «٧» إلاّ في هذه الدّار الزّائلة، و في

---

(١) «م»: الدّافع.

(٢) «ب»: بذكر.

(٣) «ح»: بتقديره.

(٤) «ح» «د» «م»: أحواله.

(٥) السّاهرة: أرض القيامة. مجمع البحرين ١: ٤٤٠ مادّة (سهر).

(٦) «ب»: تكتب.

(٧) ليست في «ب»: «م».

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٦٨

هذه المدّة القصيرة الّتي أكثرها قد مضى على الغفلة، و يكاد يلحق باقيها بماضيها إن لم يستيقظ الغافل و يستدرك ما فرّط، و ليس في تلك الدّار إلاّ الجنّة و «١» النّار، و الجنّة قد

اعدّت للمتّقين، كما أنّ النّار اعدّت للفاسقين.

و بالجملة: فالخطر عظيم، و الأمر جسيم، و الغفلة شاملة، و نحن مع ذلك لا نشعر، و قد قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (يمضي على الرّجل ستّون سنة أو سبعون سنة ما قبل اللّه منه صلاة واحدة) «٢».

و قال الصّادق عليه السّلام لحمّاد بن عيسى «٣»- الّذي كان يحفظ في فقه الصّلاة كتاب حريز «٤»، و دعا له الصّادق عليه السّلام بأن يحجّ خمسين حجّة، و أن يكثّر اللّه ماله و ولده، فاجيب «٥» له في جميع ذلك- حين صلّى عنده ركعتين: «ما أقبح بالرّجل منكم يمضي «٦» عليه ستّون سنة، أو سبعون سنة، لا يحسن أن يقيم

---

(١) «ح» «ب»: أو.

(٢) انظر: الوسائل ٣: ١٥ الباب ٦ من أبواب أعداد الفرائض و نوافلها، الحديث ٢، و غيره، فإنّ في الباب ما يدلّ على هذا المعنى.

(٣) هو: حمّاد بن عيسى: أبو محمّد الجهنيّ؛ كوفيّ، ثقة، سكن البصرة. عدّه الشّيخ

الطوسيّ في رجاله من أصحاب الإمامين الصّادق و الكاظم عليهما السّلام، و وثّقه في الفهرست. و قال النّجاشيّ: كان ثقة في حديثه، صدوقا. مات غريقا بوادي قناة؛ و هو واد يسيل من الشّجرة إلى المدينة سنة ٢٠٩ هـ و قيل: ٢٠٨ هـ و له نيف و تسعون سنة.

رجال الطّوسيّ: ١٧٤، ٣٦٦، رجال النّجاشيّ: ١٤٢، الفهرست: ٦١.

(٤) هو: حريز بن عبد اللّه السّجستانيّ: أبو محمّد الأزديّ، أكثر السّفر و التّجارة إلى سجستان، فعرف بها؛ قال النّجاشيّ: قيل: روى عن أبي عبد اللّه عليه السّلام، و قال يونس: لم يسمع من أبي عبد اللّه إلاّ حديثين، و قيل: روى عن أبي الحسن موسى، و لم يثبت ذاك، و كان ممّن شهر السّيف في قتال الخوارج في سجستان في حياة أبي عبد اللّه عليه السّلام. عدّه الشّيخ الطّوسيّ في رجاله من أصحاب الإمام الصّادق عليه السّلام، و وثّقه في الفهرست. رجال النّجاشيّ: ١٤٤، رجال الطّوسيّ: ١٨١، الفهرست: ٦٢، تنقيح المقال ١: ٢٦١.

(٥) «ب»: و اجيب.

(٦) في الوسائل: أن يأتي

صلاة واحدة بحدودها) «١».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: (كم من قارىء للقرآن و القرآن يلعنه) «٢» و (كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع و العطش) «٣».

إلى غير ذلك من الآثار الدّالّة على صعوبة الأمر، و دقّة الخطر.

فإحضار هذا و شبهه و ما تقدّم في المقدّمة من الأثر «٤» ممّا يعين على حضور القلب، مضافا إلى ما سلف من الدّواء المعين على ذلك في الفصل الثّالث.

و إن كان المنافي من قبيل المفسدات؛ فالعلاج النّافع فيما ينافي الإخلاص هو التّفكّر في مضرّة الرّياء، و ما يفوت بسببه من صلاح القلب، و ما يحرم عنده في الحال من التّوفيق، و في الآخرة من المنزلة عند اللّه تعالى، و ما يتعرّض له من العقاب العظيم، و المقت الشّديد، و الخزي الظّاهر، حيث ينادي ربّه «٥» على رؤوس الأشهاد و العباد: يا فاجر، يا غادر، يا مرائي، أما استحييت «٦»؛ إذ اشتريت

بطاعة اللّه تعالى عرض «٧» الدّنيا، راقبت قلوب العباد، و استهزءت بطاعة اللّه تعالى، و تحبّبت إلى العباد بالتّبغّض إلى اللّه تعالى، و تزيّنت لهم بالشّين «٨» عند اللّه تعالى، و تقرّبت إليهم بالبعد من اللّه تعالى، و تحمّدت إليهم بالتّذمّم «٩» عند اللّه تعالى، و طلبت

---

(١) الفقيه ١: ٣٠٠ حديث ٩١٥، التّهذيب ٢: ٨١ حديث ٣٠١، الوسائل ٤: ٦٧٣ الباب ١ من أبواب أفعال الصّلاة، الحديث ١.

(٢) مجمع البحرين ٢: ٤٧٨ مادّة (قرأ)، بحار الأنوار ٩٢: ١٨٤ باختلاف يسير في اللّفظ.

(٣) انظر: الوسائل ١: ٥٣ الباب ١٢ من أبواب مقدّمات العبادات، الحديث ٨، ٩.

(٤) «م»: الآثار.

(٥) ليست في «د» «م».

(٦) «ب»: استحيت.

(٧) «د» «ب»: غرض.

(٨) الشّين: خلاف الزّين، يقال: شانه يشينه شينا: عابه. مجمع البحرين ١: ٥٧٣ مادّة

(شين).

(٩) «ب»: بالذّم.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٠

رضاهم بالتّعرّض لسخط اللّه تعالى، أما كان أحد أهون عليك من اللّه تعالى؟!

فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي، و قابل ما يحصل له من العباد «١» و التّزيّن لهم في الدّنيا بما يفوته من الآخرة، و بما يحيط عليه من ثواب الأعمال، مع أنّ العمل الواحد ربّما كان يترجّح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا افسد «٢» بالرّياء حوّل إلى كفّة السّيّئات، فيترجّح «٣» به بعد أن كان مرجوحا، و يهوي إلى النّار.

فلو لم يكن في الرّياء إلاّ إحباط عبادة واحدة، لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره، و إن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة، فقد كان ينال بهذه الحسنة علوّ الرّتبة «٤» عند اللّه تعالى في زمرة النّبيّين و الصّدّيقين، و قد حطّ عنهم بسبب

الرّياء، و ردّ إلى صفّ النّعال من مراتب الأولياء، إن لم يستوجب النّار، و الخزي، و الطّرد من الملك الجبّار.

هذا مع ما يتعرّض له في الدّنيا من تشتّت «٥» الهمّ، بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنّ «رضا النّاس غاية لا تدرك»، فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق، و رضا بعضهم في سخط بعض، و من طلب رضاهم في سخط اللّه تعالى سخط اللّه عليه و أسخطهم أيضا عليه- كما ورد في الأخبار «٦»، و دلّت عليه التّجربة.

---

(١) «ب» «د»: العبادة.

(٢) «ح» «د»: فسد.

(٣) «م»: فترجّح.

(٤) «ح»: المرتبة.

(٥) «ب»: تسبّب.

(٦) انظر: بحار الأنوار ٧٠: ٤، نحو: شكى علقمة إلى الصّادق عليه السّلام من ألسنة النّاس، فقال عليه السّلام: (إنّ رضا النّاس لا يملك، و ألسنتهم لا تضبط، و كيف

تسلمون ممّا لم يسلم منه أنبياء اللّه و رسله و حجج اللّه عليهم السّلام ... ألم ينسبوا نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله إلى أنّه شاعر مجنون؟! ... و ما قالوا في الأوصياء أكثر من ذلك ... إنّ الألسنة الّتي يتناول ذات اللّه تعالى ذكره بما لا يليق بذاته كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه؟!).

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧١

ثمّ أي غرض له في مدحهم و إيثار ذمّ اللّه لأجل حمدهم، و لا يزيد مدحهم رزقا و لا أجلا و لا ينفعه يوم فقره و فاقته، و هول «١» يوم القيامة.

و أمّا الطّمع بما في أيديهم: فبأن يعلم أنّ اللّه هو المسخّر للقلوب بالمنع و الإعطاء، و أنّ الخلق مضطرّون له فيه، و لا رازق «٢» إلاّ اللّه تعالى، و من طمع في الخلق لم يخل من الذّلّ و الخيبة و المقت و الإهانة، و إن وصل إلى المراد لم يخل عن المنّة و المهانة، و من اعتمد على اللّه و جعل همّه معه كفاه اللّه همّه من الدّنيا و الآخرة، فكيف يترك ما عند اللّه لرجاء كاذب و وهم فاسد، و قد يصيب و قد يخطىء،

و إذا أصاب فلا تفي لذّته بألم منّته و مذلته؟

و أمّا ذمّهم؛ فلم يحذر منه و لا يزيد ذمّهم شيئا ما لم يوافقهم اللّه عليه، و لا يعجّل أجله، و لا يؤخّر رزقه، و لا يجعله من أهل النّار إن كان من أهل الجنّة، و لا يبغّضه إلى اللّه تعالى إن كان محمودا عند اللّه، و لا يزيد مقتا إن كان ممقوتا عند اللّه تعالى؛ فالعباد كلّهم عجزة و لا يملكون لأنفسهم نفعا، و لا ضرّا، و لا يملكون موتا، و لا حياة، و لا نشورا، بل العقل و النّقل و التّجربة قد أذنت بخلاف ذلك كلّه، و أنّ المخلص أعماله للّه يحبّبه اللّه إلى المخلوقين الصّالحين و الفاسقين، بل إلى كثير من الكافرين، فتراهم يعظّمونه و يوقّرونه، و يلتمسون بركته مع ضعفه و فقره و قلّة ذات يده، و قلّة عمله «٣».

و المرائي يظهر اللّه تعالى الخلق على باطنه، و خبث نفسه، و فساد نيّته، فيمقتونه و لا يفوز بمطلبه، و يضيع تعبه، و يبطل سعيه- كما روي- أنّ رجلا من بني إسرائيل، قال: و اللّه لأعبدنّ اللّه عبادة اذكر بها، فكان «٤» أوّل داخل إلى

(١) «د» «م»: هو.

(٢) «د»: رزّاق.

(٣) «ب»: علمه.

(٤) «م»: و كان.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٢

المسجد «١»، و آخر خارج منه، لا يراه أحد حين الصّلاة إلاّ قائما يصلّي، و صائما لا يفطر، و يجلس إلى حلق الذّكر، فمكث «٢» بذلك مدّة طويلة، و كان لا يمرّ بقوم إلاّ قالوا: فعل اللّه بهذا المرائي و صنع، فأقبل على نفسه و قال: أراني في غير شيء، لأجعلنّ «٣» عملي كلّه للّه، فلم يزد على عمله الّذي كان يعمل قبل ذلك إلاّ أنّه تغيّرت نيّته إلى الخير، فكان ذلك الرّجل يمرّ بعد ذلك بالنّاس فيقولون: رحم اللّه فلانا؛ الآن أقبل على الخير «٤».

و قد نبّه اللّه تعالى على ذلك في كتابه، فقال: «إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا»

«٥».

ثمّ هب أنّهم أحبّوك و أكرموك، و خفي خبثك عليهم، مع أنّ اللّه تعالى مطّلع على فساد نيّتك، و خبث سريرتك، فأيّ خير لك في مدح النّاس و أنت عند اللّه مذموم، و من أهل النار؟ و أيّ شرّ لك في «٦» ذمّ النّاس و أنت عند اللّه ممدوح، و من أهل الجنّة، و في زمرة المقرّبين؟

و من أحضر في قلبه الآخرة و نعيمها المؤبّد، و المنازل الرّفيعة عند اللّه تعالى استحقر ما يتعلّق بالخلق أيّام الحياة، مع ما فيه من الكدورات و المنغّصات «٧»، و اجتمع همّه، و انصرف إلى اللّه تعالى قلبه، و تخلّص من مذمّة الرّياء و مقاساة قلوب الخلق، و انعطف من إخلاصه أنوار «٨» على قلبه [ينشرح بها] «٩» صدره، و

---

(١) «م»: للمسجد.

(٢) «م»: فلبث.

(٣) «م»: لاخلصنّ.

(٤) عدّة الدّاعي: ٢١٦، بحار الأنوار ٧٢: ٣٠٤.

(٥) مريم: ٩٦.

(٦) «ب» «ح»: من.

(٧) «د»: المبغّضات.

(٨) «ب»: نور.

(٩) «ب»: يشرح به.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٣

[يستأنس بها من وحشته] «١»؛ فإن لم يكتف بذلك كلّه، فليتأمّل ثلاثة أشياء:

أحدها: أنّه «٢» لو قيل لك: أنّ هناك «٣» رجلا معه جوهر نفيس يساوي مائة ألف دينار، و هو محتاج إلى ثمنه، بل إلى بيعه عاجلا، و إلى أضعاف ثمنه أيضا، فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلى الأضعاف أيضا، فأبى بيعه بذلك و باعه بفلس واحد، أليس ذلك

يكون خسرانا مبينا «٤»، و غبنا «٥» فظيعا، و دليلا بيّنا على خسّة الهمّة، و قصور الفهم و العلم، و ضعف الرّأي، و رقّة العقل، بل على السّفه المحض؟!

و هذا بعينه أبلغ من حال المرائي في عمله، بل في عبادة واحدة؛ فإنّ ما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحه، و حطام الدّنيا بالإضافة إلى رضا ربّ العالمين، و شكره، و ثواب الآخرة، و نعيم الجنّة الدّائم، المخلص من شوب الكدورات، أقلّ من فلس في جنب ألف ألف دينار، بل في جنب الدّنيا و ما فيها و أكثر.

و هذا هو الخسران المبين أن تفوت نفسك تلك الكرامات العزيزة الشّريفة بهذه الامور الحقيرة الدّنيّة.

ثمّ و إن كان لا بدّ لك من هذه الهمّة الخسيسة، فاقصد أنت الآخرة تتبعك «٦» الدّنيا، بل اطلب الرّبّ وحده يعطك الدّارين؛ إذ هو مالكهما جميعا، و ذلك قوله تعالى: «مَنْ كٰانَ يُرِيدُ ثَوٰابَ الدُّنْيٰا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوٰابُ الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةِ» «٧».

(۱) «د» «ب»: تستأنس به روحه.

(۲) «م»: أن.

(۳) «د»: هنا.

(٤) «ب» «د» «م»: عظيما.

(٥) «ب»: عيبا.

(٦) «م»: ببيعك.

(۷) النّساء: ١٣٤.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧۴

و قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: (إنّ اللّه تعالى يعطي الدّنيا بعمل الآخرة، و لا يعطي الآخرة بعمل الدّنيا) «۱».

فإذا أنت أخلصت النّيّة، و جرّدت الهمّة للآخرة، حصلت لك الدّنيا و الآخرة جميعا، و إن أنت أردت الدّنيا، ذهبت عنك الآخرة في الوقت. و ربّما لا تنال الدّنيا كما تريد، و إن نلتها فلا تبقى لك، بل تزول عنك قريبا، فقد خسرت

الدّنيا و الآخرة، و ذلك هو الخسران المبين.

و نظير هذا الشّخص بالنّسبة إلى هذا المثل من يصرف جزءا من عمره، و نفسا من أنفاسه الّذي يمكنه به تحصيل كنز من كنوز الجنان فيما يحصل به دانق، أو حبّة، أو درهم، أو دينار من متاع الدّنيا، و يترك ذلك الكنز الدّائم لغير ضرورة، ما هذا إلاّ عين الغفلة و الخسران، و خسّة الهمّة و الخذلان.

و ثانيها: أنّ المخلوق الّذي تعمل لأجله، و تطلب رضاه، لو علم أنّك تعمل لأجله، لأبغضك و سخط «٢» عليك، و استهان بك، و استخفّ بك، مضافا إلى مقت اللّه تعالى و إهانته و خذلانه، و ما تعمله للّه خالصا يوجب رضا الفريقين، فكيف يعمل العاقل لأجل من لو علم بأنّه «٣» يطلب رضاه لسخط عليه و أهانه؟! فانظر إن كنت تعقل.

و ثالثها: إنّ من حصل له سعي يكتسب به رضا أعظم ملك في الدّنيا، فطلب به رضا كنّاس خسيس بين النّاس و سخط ذلك الملك، بل مع عدم سخطه، أليس ذلك دليلا على السّفه «٤»، و رداءة الرّأي، و سوء النّظر، و يقال له: ما

حاجتك إلى رضا هذا الكنّاس مع تمكّنك من رضا هذا الملك؟!

---

(١) انظر: بحار الأنوار ١٣: ٤١٢ فإنّ فيه ما يدلّ على هذا المعنى.

(٢) «د»: لسخط.

(٣) «م»: أنّه.

(٤) «م»: السّفه.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٥

كذلك أيّ حاجة إلى رضا عبد مخلوق ضعيف حقير مهين مع التّمكّن من تحصيل رضا ربّ العالمين الكافي عن الكلّ! نسأل اللّه حسن التّوفيق. فهذا هو الدّواء العلميّ.

[في بيان دواء العجب]

و أمّا الدّواء العمليّ؛ فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات، و إغلاق الأبواب دونها؛ كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتّى يقنع قلبه بعلم اللّه تعالى، و اطّلاعه على عبادته، و لا

تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله تعالى، و هو أمر يشق في ابتداء المجاهدة، لكن إذا صبر عليه مدّة بالتّكلّف، سقط عنه ثقله، و هان عليه ذلك بتواصل ألطاف اللّه تعالى، و ما يمدّ به عباده من حسن التّوفيق، فـ «إِنَّ اللهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ» «١» فمن العبد المجاهدة، و من اللّه الهداية؛ قال اللّه تعالى: «وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا» «٢».

و إن كان المنافي من قبيل المتأخّر عن العبادة، و هو الرّياء المتأخّر و العجب، فقد عرفت دواء الأوّل.

و أمّا العجب؛ فلينظر في الأسباب و الآلات الّتي قوي بها على العبادة الّتي أورثته العجب من القدرة، و العلم، و الأعضاء، و الرّزق الّذي أكله حتّى قوي به؛ فإنّه يجده كلّه من اللّه تعالى، و لولاه لم يقدر على شيء منها، ثمّ ينظر إلى نعمته عليه في إرسال الرّسل إليه، و خلق العقل له حتّى اهتدى به إلى طريق الحقّ، ثمّ ينظر في قيمة العمل الّذي عمله، فلا يجده مقابلا لنعمة من هذه النّعم، و إنّما صار

لعمله قيمة، لمّا وقع من اللّه تعالى موقع الرّضا و القبول، و إلاّ فترى الأجير يعمل طول النّهار بدرهمين، و الحارس يسهر طول اللّيل بدانقين، و كذلك أصحاب الصّناعات و الحرف؛ كلّ واحد منهم يعمل في اللّيل و النّهار، فتكون قيمة كلّ ذلك دراهم معدودة؛ فإن

---

(١) الرّعد: ١١.

(٢) العنكبوت: ٩٦.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٦

صرفت الفعل إلى اللّه تعالى و صمت للّه يوما، قال اللّه: «إِنَّمٰا يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ» «١».

و في الخبر: (أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، و لا اذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر) «٢» فهذا يومك الّذي قيمته درهمان مع احتمال التّعب العظيم، صارت له هذه القيمة بتأخير غداء «٣» إلى عشاء، و لو قمت ليلة للّه

تعالى، فقد قال اللّه تعالى: «فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما اُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ» «٤».

فهذا الّذي قيمته درهم صارت له كلّ هذه القيمة و القدر، بل لو جعلت للّه ساعة تصلّي فيها ركعتين خفيفتين، بل نفسا قلت فيه: لا إله إلاّ اللّه، قال اللّه تعالى: «وَ مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهٰا بِغَيْرِ حِسٰابٍ» «٥».

فحقّ إذن للعاقل أن يرى حقارة عمله، و قلّة مقداره من حيث هو، و أن لا يرى إلاّ منّة اللّه عليه فيما شرّف به من قدر عمله و أعظم من جزائه، و أن يحذر في فعله أن يقع على وجه لا يصلح للّه تعالى، و لا يقع منه موقع الرّضا، فيذهب عنه موقع القيمة الّتي حصلت له، و يعود إلى ما كان في الأصل من الثّمن الحقير، فقس قدر عملك في نفسه إلى ما عليك من نعمة، فهل تجده وافيا بعشر عشيره؟ و هل توفيقك للقيام بوظائف العبوديّة، و تأهيلك «٦» للخدمة الإلهيّة، إلاّ نعمة بل أعظم نعمة

(١) الزّمر: ١٠.

(٢) عدّة الداعيّ: ٩٩، ٢٢٦، الأحاديث القدسيّة ١: ٦٧، عوالي اللّئالئ ٤: ١٠١ حديث ١٤٨، الجواهر السّنيّة في الأحاديث القدسيّة: ٣٦٢، بحار الأنوار ٨: ٩٢.

(٣) «م»: غداة.

(٤) السّجدة: ١٧.

(٥) غافر: ٤٠.

(٦) «م»: تأهّلك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٧

يلزمك شكرها؛ كما اشير إليه في خبر داود عليه السّلام حين أوحى اللّه إليه أن اشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ، كيف أشكرك حقّ شكرك و الشّكر من نعمتك تستحقّ عليه شكرا؟! فقال: يا داود، إذا عرفت أنّ ذلك منّي، فقد شكرتني «١».

و روي أنّ بعض الوعّاظ قال لبعض الخلفاء: أتراك لو منعت

شربة من الماء عند عطشك، بم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: أ تراها لو حبست عنك عند خروجها، بم كنت تشتريها؟ قال: بالنّصف الآخر، قال: فلا يغرّنّك ملك قيمته شربة ماء «٢».

ففكّر أنت كم تتناول في كلّ يوم شربة ماء هنيئة، و أكلة هنيئة، و تسيغها «٣» هنيئا في عافية، و كم تنظر بعينك هنيئا، و تسمع طيّبا، و تشمّ زكيّا، و تمشي إلى ما تحبّ، و تبطش بيدك فيما تحبّ، إلى غيرك ذلك من حواسّك و أعضائك و قواك الباطنة الّتي لا يطّلع على دقائقها و تصريفها إلّا اللّه تعالى من مجاري طعامك، و تصاريف هضمك، و تفريق فضلاتك، و تغذّيك بجيّده ممّا لو صرفت زمانك في الفكر فيه خاصّة لقضيت منه العجب، و لو فقدت شيئا يسيرا منه و طلب منك طبيب على أن يردّه إليك و يصلحه لك [قبال] «٤» خدمتك له سنة أو أكثر لسررت بذلك و عددته منعما عليك، و كم تقابل هذه النّعم المتعدّدة بسنين من الخدمة، و الحال أنّك لا تخدم

مولاك المنعم إلاّ أوقات قليلة بعبادة لو تأمّلتها و عرفت عيوبها و آفاتها لم تثق بشيء منها، و لاستحييت من فعلها.

و قد قال اللّه تعالى- و هو أصدق القائلين-: «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لاٰ

---

(١) الكافي ٣: ٩٨، بحار الأنوار ٧١: ١٨ و فيهما: أوحى اللّه إلى موسى عليه السّلام، عدّة الدّاعي: ٢٢٥.

(٢) عدّة الدّاعي: ٢٢٦.

(٣) «ب»: تسقها، «م»: تتسيّغها.

(٤) أضفاه لاستقامة المعنى.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٨

تُحْصُوهٰا» «١» فالنّعم عليك لا تحصى، و عملك على تقدير سلامته و قبوله قليل يحصى «٢»، فكيف يقابل ما لا يحصى؟!

ثمّ إذا قابله بقيت خاليا من عمل يوجب لك المكافأة،

فقصاراك الاعتراف بالتّقصير، و شرفك المراقبة للّه تعالى، و تذكّر المنّة، و الاعتراف بالنّعمة، و الإزراء «٣» بنفسك و المقت لها، لعلّك تفوز برحمة اللّه تعالى، فقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: (من مقت نفسه دون مقت النّاس، آمنه اللّه من فزع يوم القيامة) «٤».

و روي أنّ عابدا عبد اللّه تعالى سبعين عاما صائما نهاره، قائما ليله، فطلب إلى اللّه تعالى حاجة فلم تقض، فأقبل على نفسه و قال: من قبلك اتيت، لو كان عندك خير قضيت حاجتك، فأنزل اللّه إليه ملكا، فقال: يا ابن آدم، ساعتك الّتي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك الّتي مضت «٥».

ثمّ تأمّل بعد ذلك ثلاثة امور:

أحدها: لو أنّ ملكا من ملوك الدّنيا إذا أجرى على أحد من أتباعه طعاما و كسوة، أو دراهم أو دنانير فانية؛ فإنّه يستخدمه لأجلها بضروب الخدم آناء اللّيل و [أطراف] «٦» النّهار، مع ما في ذلك من الذّلّ و الصّغار، و بعضهم يقوم لذلك على رأسه، و يسهر اللّيل بأجمعه لأجله، و بعضهم

يقف في خدمته يوما بعد يوم حتّى ينقضي عمره، و بعضهم يسعى في حوائجه و مهمّاته، و بعضهم يركب الأهوال و لجج البحار لأجله، و ربّما يبدو له عدوّ «٧» فيبذل روحه التّي لا خلف عنها لأجله، و لا

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) «ب»: محصيّ.

(٣) «ب»: الازدراء.

(٤) عدّة الدّاعي: ٢٢٧.

(٥) عدّة الدّاعي: ٢٢٧.

(٦) أضفناه لقبول السّياق.

(٧) «د»: عدوّه.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٧٩

ينفعه في الآخرة بعد ذلك.

فتراهم يحتملون كلّ هذه الخدمة لأجل تلك المنفعة

الخسيسة الفانية، و مع ذلك يعترفون للملك بالنّعمة و يقرّون له بالفضل عليهم و المنّة، مع أنّ تلك المنفعة في الحقيقة من اللّه تعالى، و لو أراد ملكهم أن ينبت لهم حبّة واحدة، أو يخلق لهم خيطا واحدا لم يقدر على ذلك و هم يعترفون بذلك كلّه، فكيف تستكثر عملك الحقير المشوب بالآفات و النّقائص لربّك الّذي خلقك و لم تك شيئا مذكورا؟ ثم ربّاك و أنعم عليك من النّعم الظّاهرة و الباطنة في نفسك و دينك و دنياك ما لا «١» يبلغ كنهه فهمك و لا وهمك، كما قال اللّه تعالى: «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاٰ تُحْصُوهاٰ» «٢»؟.

و قد وعدت على هذا العمل القليل مع ما فيه من المعايب و الآفات بالثّواب العظيم الدّائم، و ضروب الكرامات، استعظام ذلك من شأن العاقل!

و ثانيها: أن تتفكّر في أنّ الملك الّذي من شأنه أن يخدمه الملوك و الامراء إذا أذن في إدخال الهدايا إليه، و وعد عليها بالعطاء العظيم، و أمر أن لا يستحيي أحد بهديّته «٣» و لو

كانت طاقة بقل، فدخلت عليه الامراء و الكبراء و الرؤساء و الأغنياء بأنواع الهدايا من الجواهر الثّمينة «٤» و [الهدايا النفيسة] «٥»، ثمّ جاء بقّال إليه بطاقة «٦» بقل، و قرويّ بسلّة عنب تساوي درهما أو حبّة، فدخل بها إلى حضرته و زاحم بها اولئك الأكابر بهداياهم الجليلة، فقبل الملك من الوضيع هديّته، و نظر إليها نظر القبول، و أمر له بأنفس خلعة و كرامة تبلغ مائة ألف دينار، ألا يكون ذلك

---

(١) «م»: لم.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

(٣) «د»: لهديّته.

(٤) «م»: النّفيسة.

(٥) «م»: اللّئالىء الثّمينة.

(٦) «د» «ب» «م»: بباقة.

منه غاية الفضل و الكرم؟

ثمّ لو فرض أنّ هذا الفقير نظر بخاطره إلى هديّته، و استعظم أمرها، و تعجّب بها، و نسي ذكر منّة الملك، ألا يقال هذا مجنون مضطرب العقل، أو سفيه سيّىء الأدب، عظيم الجهل؟

و ثالثها: أن تتفكّر في أنّ الملك الّذي من شأنه أن يخدمه الملوك و الامراء، و يقوم على رأسه السّادات و العظماء، و يتولّى خدمته الحكماء، و يمشي بين يديه الأكابر و الرّؤساء، إذا أذن لسوقيّ «١» أو قرويّ في الدّخول عليه و القرب منه حتّى زاحم اولئك السّادات و الأفاضل في خدمته و جعل له مقاما في حضرته أ ليس يقال:

لقد كثرت على هذا الحقير المنّة من الملك، و عظمت عليه النّعمة؟ فإن أخذ هذا الحقير يمنّ على الملك بتلك الخدمة الحقيرة و يستعظم ذلك مع هذه النّعمة الواصلة إليه، و يعجب بعمله أ ليس ينسب إلى محض السّفه «٢» و الجنون؟ فكيف و إلهنا الّذي له ملك السّماوات و الأرض و

قد دان له العالمون، و وقف بخدمته الملائكة المقرّبون و الأنبياء و المرسلون الّذين لا يحصي عددهم إلاّ رب العالمين، و منهم النّافذة في تخوم الأرض أقدامهم، و الواصلة إلى العرش رؤوسهم، و هم مع ذلك مطرقون لا يرفعون رؤوسهم تعظيما للّه تعالى، و لا يفترون عن ذكر اللّه تعالى أبدا إلى آخر مدّتهم، فإذا أراد اللّه أن يميتهم رفعوا رؤوسهم و قالوا: سبحانك، ما عبدناك حقّ عبادتك.

و لا يخفى حال نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله في جدّه و اجتهاده في عبادة ربّه «٣»، و من بعده من أئمّته الّذي يخرج ذكر يسيره عن حدّ الاختصار، إلى نهاية

---

(١) السّوقة: الرّعيّة، و من دون الملك. مجمع البحرين ١: ٤٥٦ مادّة (سوق).

(٢) «ب» «م»: أو.

(٣) نقل في تفسير «نور الثّقلين» ٣: ٣٦٧ عن «الاحتجاج» للطّبرسيّ، قال: روي عن موسى بن جعفر عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليه السّلام، قال: (قال أمير المؤمنين عليه السّلام: و لقد قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عشر سنين على

أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه، و اصفرّ وجهه، يقوم-

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٨١

الإكثار، و هم مع ذلك معترفون بالتّقصير، باكون على أنفسهم، مزرون عليها.

ثمّ إنّك ترضى من نفسك بصلاة ركعتين محشوّة من المعائب، و قد وعدت من الثّواب عليها «١» بما «٢» لا يخطر بقلب بشر، و تعجب بذلك و تستكثره، و لا ترى منّة اللّه عليك في ذلك؟! فما أجهلك من إنسان، و ما أسوأك من رجل، و ما أسفهك من بشر!

و أمّا نحن فلو عقلنا و تيقّظنا «٣» لأعمالنا، لوجدناها إلى كفّة السّيّئات أميل منها إلى كفّة الحسنات، لشدّة الغفلة، و كثرة المعائب، و فساد القلوب، و تشويش المقاصد.

اللّهم لا تكلنا إلى أعمالنا، و لا تؤاخذنا بتفريطنا و إهمالنا، و اشملنا بفضلك و انسك «٤»، و خذ بنواصي قلوبنا إلى جوار قدسك، فقديما سترت، و عظيما غفرت، و جزيلا

اعطيت، و جسيما أبليت، و أنت أرحم الرّاحمين، و أكرم الأكرمين، فما قدمت عليك أيدينا «٥» إلاّ صفرا من الحسنات، مملوّة بالمعاصي و السّيّئات، وجودك أوسع و أكمل من أن يضيق عمّن التجأ إليك، و اعتمد بفضلك و رحمتك عليك، و أنت دللتنا على جودك، و هديتنا إلى فضلك، و أمرتنا بالدّعاء، و ضمنت الإجابة، و أنت الجواد الكريم.

- اللّيل أجمع، حتّى عوتب في ذلك، فقال اللّه عزّ و جلّ: «طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى» بل لتسعد به ...).

(١) «ب»: عليهما.

(٢) «ب» «م»: ما.

(٣) «ب»: تفطّنا.

(٤) «ب»: أمنك.

(٥) «د»: أياديا.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٨٢

البحث الثّاني: في خصوصيّات باقي الصّلوات «١».

[فى خصوصيات وظائف الجمعة و أسرارها]

بالنّسبة إلى اليوميّة، تختصّ «الجمعة» باستحضار أنّ يومها يوم عظيم، و عيد شريف، خصّ اللّه تعالى به هذه الامّة، و جعله وقتا شريفا لعباده «٢»، ليقرّبهم فيه من جواره، و يبعدهم من طرده و ناره، و حثّهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال، و تلافي ما فرّط منهم في بقيّة الاسبوع من الإهمال، و جعل أهمّ ما يقع فيه من طاعته، و ما يوجب الزّلفى و القرب إلى شريف حضرته، صلاة الجمعة، و عبّر عنها في محكم كتابه العزيز الكريم بـ «ذكر اللّه» الجسيم، و خصّها من بين سائر الصّلوات الّتي هي أفضل القربات «٣» بالذّكر الخاص، فقال سبحانه: «يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نُودِيَ لِلصَّلاٰةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» «٤».

و في هذه الآية الشّريفة من التّنبيهات و التّأكيدات ما يتنبّه له

من له حظ من المعاني لا يليق بسطه بهذه الرّسالة.

و من أهمّ رمزها هنا التّعبير عن الصّلاة بـ«ذكر اللّه» و نبّه بذلك على أنّ الغرض الأقصى من الصّلاة ليس هو مجرّد الحركات و السّكنات و الرّكوع و السّجود، بل ذكر اللّه بالقلب، و إحضار عظمته بالبال، فإنّ هذا و أشباهه هو السرّ في كون الصّلاة ناهية عن الفحشاء و المنكر في قوله تعالى: «إِنَّ الصَّلٰاةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْكَرِ» «٥» إذ كان سببهما القوّة النّزوعيّة اذا خرجت عن حكم العقل.

---

(١) «ح» «د»: الصّلاة.

(٢) «ح» «م»: لعبادته.

(٣) «د»: المقرّبات.

(٤) الجمعة: ٩.

(٥) العنكبوت: ٤٥.

و هذا كلّه إنّما يتمّ مع التّوجّه التّام إلى اللّه تعالى، و ملاحظة جلاله الّذي هو الذّكر الأكبر «١» و الكثير على ما ورد في بعض تفسيراته، فضلا عن أن يكون ذكرا مطلقا.

و إذا كان الاستعداد بهذه المثابة، لا جرم، وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصّلوات، و التّهيّؤ و الاستعداد للقاء اللّه تعالى، و الوقوف بين يديه في الوقت الشّريف و النّوع الشّريف من العبادة «٢».

و احضر «٣» ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدّنيا بالمثول في حضرته و الفوز بمخاطبته في وقت معيّن «٤»، أما كنت تتأهّب له بتمام الاستعداد و التّهيئة و السّكينة و الوقار و التّنظيف و التّطيّب و غير ذلك ممّا «٥» يليق بحال الملك؟.

و من هنا جاء استحباب الغسل يوم الجمعة، و التّنظيف، و التّطيّب، و التّعمّم، و حلق الرّأس، و قصّ الشّارب و الأظفار، و غير ذلك من السّنن، فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف، و عمل مخلص، و قصد

متقرب، و نيّة خالصة، كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدّنيا إن لم تعظم همّتك عن ذلك، و لا تقصد بهذه الوظائف حظّك من الرّفاهيّة، و مطلب نفسك من الطّيب و الزّينة فتخسر صفقتك، و تظهر بعد ذلك حسر تك.

و كلّما أمكنك تكثير المطالب الّتي يترتّب عليها الثّواب بعملك «٦»، فاقصدها يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها، فانو بالغسل يوم الجمعة سنّة الجمعة

---

(١) «م» زيادة: و التّكبير.

(٢) «ح»: العبادات.

(٣) «د»: اخطر.

(٤) «ب» «د»: معتبر.

(٥) «م»: بما.

(٦) «ب»: لعملك.

و التّوبة و دخول المسجد، و بالثّياب الحسنة و الطّيب سنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و تعظيم المسجد، و احترام بيت اللّه تعالى، فلا يحب «١» أن تدخله زائرا له إلاّ طيّب الرّائحة.

و أن يقصد به أيضا ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته، و يقصد به دفع الرّوائح الكريهة عن نفسه حسما لباب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالرّوائح الكريهة، فيعصون اللّه بسببه، فقد قيل: إنّ «٢» من تعرّض للغيبة و هو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية؛ كما أشار إليه تعالى بقوله: «وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَيَسُبُّوا اللّٰهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ» «٣».

و إذا حضرت الصّلاة «٤»، فاحضر «٥» قلبك فهم مواقع الموعظة، و استعدّ لتلقّي الأوامر و النّواهي على وجهها، فإنّ ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة و الخطيب و المنبر، و استماع «٦» النّاس و تحريم الكلام خلالها، و وجوب الإصغاء إليها، فاعط كلّ ذي حقّ من ذلك حقّه عسى أن

تكون من المكتوبين «٧» في ديوان الملائكة المقرّبين؛ الّذين يكتبون المصلّين في ذلك اليوم الشّريف، و يعرضونهم على الحضرة الإلهيّة، و يخلعون عليهم خلع الأنوار القدسيّة، فقد روي: (أنّ الملائكة تقف على أبواب المساجد و بأيديهم قراطيس الذّهب و أقلام الفضّة، يكتبون الأوّل فالأوّل، و أنّ الجنان لتزخرف و تزيّن، و أنّ النّاس يتسابقون إليها على قدر سبقهم إلى

---

(١) «ب»: يجب.

(٢) «م»: إنّه.

(٣) الانعام: ١٠٨.

(٤) «ب» «م»: للصّلاة.

(٥) «م»: فاستحضر.

(٦) «ب» «م»: اسماع.

(٧) «ب»: المكرمين.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٨٥

الصّلاة، و لا تزال الملائكة يكتبون الدّاخل إلى أن يخرج الإمام، فإذا خرج طويت الصّحف، و رفعت الأقلام، و اجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون «١» الذّكر، و أنّ النّاس في المنازل و الحظوة على قدر بكورهم إلى الجمعة) «٢».

فإذا أحضرت هذا ببالك و أنّ الملائكة يستمعون و هم حولك، و اللّه سبحانه ناظر إليك، لزمك ارتداء الهيبة، و ادّراع السّكينة، و تجلبب الخشية، و عند ذلك تستحقّ أن تفاض عليك الرّحمة، و تحفّك البركة، و تصير صلاتك مقبولة، و دعوتك مسموعة مستجابة.

و أكثر في ذلك اليوم من الذّكر، و الدّعاء، و الاستغفار، و تلاوة القرآن، و الصّلاة على النّبيّ و آله صلّى اللّه عليه و آله، و الصّدقة، فإنّ اليوم شريف، و الفضل فائض، و الجود تام، و الرّحمة واسعة، فإذا كان المحلّ قابلا تمّت السّعادة، و حصلت الإرادة و زيادة.

و تذكر انّ في يوم الجمعة ساعة لا يردّ اللّه فيها دعوة مؤمن «٣»؛ فاجتهد أن تصادفها داعيا أو مستغفرا أو ذاكرا، فإنّ اللّه يعطي الذّاكر فوق ما يعطي السّائل.

و إن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم، فافعل، فإن لم يمكن فإلى العصر، و كن حسن المراقبة، مجتمع الهمّة، عسى أن تظفر بتلك السّاعة، فقد قيل:

إنّها مبهمة في جميع ذلك اليوم، نظرا من اللّه تعالى لخلقه، ليحافظوا عليها، كما

---

(١) «م»: يسمعون.

(٢) الكافي ٣: ٤١٣ حديث ٢، الفقيه ١: ٢٧٤ حديث ١٢٥٨، الوسائل ٥: ٤٢ الباب ٢٧ من أبواب صلاة الجمعة و آدابها، الحديث ١.

(٣) روي عن الإمام الصّادق عليه السّلام أنّه قال: (إنّ يوم الجمعة سيّد الأيّام و أعظم عند اللّه من يوم الفطر و يوم الأضحى، و فيه ساعة لا يسأل اللّه عزّ و جلّ فيها أحد شيئا إلاّ أعطاه ما لم يسأل حراما).

الدّعوات: ٣٥ عدّة الدّاعي: ٣٨، الوسائل ٥: ٦٧ الباب ٤٠ من أبواب صلاة الجمعة و

آدابها، الحديث ٢٢ و فيهما هذا الحديث عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٨٦

أخفى ليلة القدر في جميع السّنة، ليحافظوا عليها «١».

و روي أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصّفوف بالنّاس «٢».

و ساعة اخرى من آخر النّهار إلى غروب الشّمس «٣».

و اجعل هذا اليوم خاصّة من الاسبوع لآخرتك، فعسى «٤» أن يكون كفّارة و استدراكا لبقيّة الاسبوع.

و يكفيك في الاهتمام بالجمعة و وظائفها أنّ اللّه سبحانه جعلها أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان- على ما نطقت به الأخبار «٥»، و صرّح به العلماء الأخيار- حيث دلاّ على أنّ الواجب أفضل من النّدب، و أنّ الصّلاة أفضل من غيرها من الواجبات، و أنّ اليوميّة أفضل من غيرها من الصّلوات، و أنّ الصّلاة الوسطى من بينها أفضل الخمس، و المختار أنّها الظّهر، و الجمعة أولى من الظّهر، فتكون أفضل منها لو أمكن

تصوّر فضلها «٦»، و حينئذ، فتكون أفضل الأعمال.

و هذا بيان واضح يوجب تمام الاهتمام بشأنها، و أبلغ الخطر في التّهاون بها لمن تدبّر، و قد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر بها: «ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» «٧».

و قد وردت الأوامر بقراءة سورتها و سورة المنافقين فيها، ليتكرّر سماع الحثّ عليها فيهما «٨»، و قد قال في سورة المنافقين بعد أن سمّاها في سورتها «ذكرا»: «يٰا

---

(١) إحياء علوم الدّين ١: ٣٣٥.

(٢) إحياء علوم الدّين ١: ٣٣٥، الدّعوات: ٣٦، عدّة الدّاعي: ٣٨.

(٣) الدّعوات: ٣٦، إحياء علوم الدّين ١: ٣٣٥.

(٤) «د» «م»: فعساه.

(٥) انظر: الوسائل ٥: ٦٢ الباب ٤٠ من أبواب صلاة الجمعة و آدابها، فإنّ فيه ما يدلّ على هذا المعنى.

(٦) «ب» «د» «م»: فضل لها.

(٧) الجمعة: ٩.

(٨) انظر: الكافي ٣: ٤٢١ حديث ١، و ص ٤٢٥ حديث ١، ٢، ٥، ٧، التّهذيب ٣: ٢٤١ حديث ٦٤٨، ٦٥٥، الوسائل ٥: ٣٨ الباب ٢٥ من أبواب صلاة الجمعة و آدابها، الحديث ٢.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٨٧

«يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِكُمْ أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ» (١).

فكرّر هذه الدّقائق على فكرك، عسى أن تكون من المفلحين.

[في وظائف صلاة العيد]

و أمّا العيد؛ فاحضر في قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز، و تفرقة الرّحمة، و إفاضة المواهب على من قبل صومه، و قام بوظائفه، فأكثر من الخشوع في صلاتك، و الابتهال إلى اللّه تعالى فيها، و قبلها، و بعدها في قبول أعمالك، و العفو عن تقصيرك.

و استشعر الحياء و الخجلة من حيرة الرّدّ، و خذلان الطرد، فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد، و إنّما هو عيد من أمن من الوعيد، و سلم من النّقاش و التّهديد، و استحقّ بصالح أعمال المزيد.

و استقبله «٢» بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف، و التّنظيف، و التّطيّب و غيره من أسباب التّهيّؤ «٣» و الإقبال بالقلب على ربّك، و الوقوف بين يديه، عسى أن تصلح للمناجاة و الحظوة لديه، فإنّه مع ذلك يوم شريف، و زمان منيف، [يقبل اللّه] «٤» فيه الأعمال، و تستجاب فيه الدّعوات، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله، و لم يجعل عيدا بسببه من المأكل و المشرب و اللّباس و غير ذلك من متاع الدّنيا البائرة، فإنّما هو عيد لكثرة عوائد اللّه تعالى فيه على من عامله بمتاجر «٥» الآخرة.

[في وظائف صلاة الآيات]

و أمّا الآيات؛ فاستحضر عندها أهوال الآخرة، و زلازلها، و تكوير الشّمس

(١) المنافقون: ٩.

(٢) «د»: فاستقبله.

(٣) «م»: التّهيئة.

(٤) «ب» «م»: تقبل.

(٥) «ح»: بمتاجرة.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٨٨

و القمر، و ظلمة القيامة، و وجل الخلائق، و التجاءهم، و اجتماعهم في تلك العرصة، و خوفهم من الأخذ و النّكال، و العقوبة و الاستئصال «١».

فاكثر من الدّعاء و الابتهال، بمزيد الخشوع و الخضوع، و الخوف و الوجل في النّجاة من تلك الشّدائد، و ردّ النّور بعد الظّلمة و المسامحة إلى الهفوة و الزّلّة «٢»، و تب إلى اللّه تعالى من جميع ذنوبك، و أحسن التّوبة عسى أن ينظر إليك و أنت منكسر النّفس، مطرق الرّأس، مستح «٣» من

التّقصير، فيقبل توبتك، و يسامح هفوتك؛ فإنّه يقبل القلوب المنكسرة، و يحبّ النّفوس الخاشعة، و الأعناق الخاضعة، و التّململ من ثقل الأوزار، و الحذر من منقلب الأضرار «٤».

[في وظائف الصلاة الطواف]

و أمّا صلاة الطّواف؛ فاستحضر عندها جلالة البيت لجلالة «٥» ربّ البيت، و اعلم أنّك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق، و الحاكم المحقّق، فإنّه «٦» و إن كان في جميع أحوالك مطّلع على سريرتك، محيط بباطنك و ظاهرك، لكنّ الحال في ذلك الموضع أقوى، و المراقبة فيه أتمّ و أولى، و الغفلة ثمّ «٧» أصعب و أدهى، و أين «٨» المقصّر في تعظيم الملك بين يديه و لدى كرسيّه [و بين النّائي] «٩» عنه و البعيد منه؟

و إن كان عمله «١٠» شاملا للجميع، و محيطا بالكلّ، [فليزد ذلك] «١١» في خشوعك

(١) استأصل الشّيء: إذا قطعه من أصله. مجمع البحرين ١: ٧٩ مادّة (أصل).

(٢) «ح» «م»: الذّلّة.

(٣) «م»: مستجير.

(٤) «ب»: الأخبار.

(٥) «ب»: بجلالة.

(٦) «ح» «د» «م»: و انّه.

(٧) ثمّ: اسم يشار به إلى المكان البعيد؛ بمعنى: هناك. مجمع البحرين ١: ٣٢٤ مادّة (ثمم).

(٨) «ب»: ليس.

(٩) «ب»: كالنّائي.

(١٠) «ح» «د» «م»: علمه.

(١١) «ح» «د» «م»: فلتزد بذلك.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٨٩

و إقبالك و لتحذر بسبب ذلك من إعراضك و إهمالك.

و من ثمّ كان الذّنب في تلك البقاع الشّريفة مضاعفا، و

الحسنة فيها ايضا مضاعفة.

و تفكّر فيمن سبق من الأنبياء، و المقرّبين، و الأولياء و الصّالحين، فترى آثارهم و قربهم، و ما أورثهم عملهم و حبّهم من السّعادة المخلّدة و النّعمة المؤبّدة المجدّدة، على مرّ الدّهور المطّردة «١» على كلّ العصور.

و تأسّ بهم في الأعمال، و كمال الإقبال، و ليكن ذلك و نظائره [مقدّمة للصّلاة] «٢» لا مقارنا، فإنّ وظيفة الصّلاة الإقبال بها خاصّة، و ترقّ من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج.

[فى اسرار صلاة الجنازة]

و أمّا صلاة الجنازة؛ فاحضر عند مشاهدتها و وضعها بين يديك ما قد خلّفته من الأهل و الأولاد، و تركته من الأموال، و قدمت على اللّه تعالى صفر اليد من الجميع، لم يصحبها إلّا الأعمال الصّالحة، و ما تاجرته من أعمال الآخرة الرّابحة.

و تأمّل بهجته كيف قد ذهبت، و جلدته كيف قد تحوّلت؟

و عن قريب يمحو التّراب صورته، و تزيل الأرض بهجته، و ما قد حصل له من يتم أولاده «٣»، و ترمّل «٤» نسائه، و تضيّع «٥» أمواله، و خلوّ مسجده و مجلسه، و انقطاع آثاره بعد طول أمله، و كثرة حيله، و انخداعه بمواتاة الأسباب، و غفلته عن الدّخول في هذا التّراب، و القدوم على ما سطر «٦» عليه في الكتاب، و ركونه إلى القوّة و الشّباب، و اشتغاله عمّا

---

(١) «ح» «ب»: مطردة.

(٢) «ب»: من مقدّمة الصّلاة.

(٣) «ب»: الأولاد.

(٤) «ب»: رمل.

(٥) «ب»: تضييع.

(٦) «ح»: ستر.

بين يديه من الموت الذّريع، و الهلاك السّريع، و كيف كان يتردّد و يشيّع غيره من الأموات، و الآن قد تهدّمت رجلاه و مفاصله، و كيف كان ينطق و قد فسد لسانه، و كيف كان يضحك و قد تغيّرت «١» أسنانه، و كيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه و بين الموت إلاّ شهر أو أقلّ و هو غافل عمّا يراد به، حتّى جاءه «٢» الموت فجأة «٣» في وقت لم يحتسبه «٤»، فقرع سمعه نداء الجبّار؛ إمّا بالجنّة أو النّار «٥».

و لينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته، و ستكون عاقبته كعاقبته، فلينهض حينئذ إلى الاستعداد، و ليشتغل بإكثار الزّاد؛ فإنّ المسافة بعيدة، و العقبة كؤود «٦»، و الخطر شديد، و النّدامة بعد الموت غير نافعة.

فهذا الفكر «٧» و أمثاله يحصّل قصر الأمل، و الاستعداد لصالح «٨» العمل، و محلّه خارج عن الصّلاة- كما مرّ.

[في اسرار صلاة النذر و اعهد و نحوهما]

و أمّا صلاة النّذر و العهد و نحوهما؛ فليستشعر قبولها، و

الرّغبة في القيام بها، و الاهتمام بشأنها وفاء بعهد «٩» اللّه، و امتثالا لأمره، و لا يتبرّم بها توهّما أنّها ليست واجبة بالأصالة، فقد لحقت بمثلها في العظمة و الجلالة، و ليمثّل «١٠» في نفسه أنّه لو

---

(١) «ب»: نثرت.

(٢) «ب» «م»: جاء.

(٣) «د» «م»: فجاءة.

(٤) «ب» «م»: يحسبه.

(٥) «م»: بالنّار.

(٦) «ب»: كوءودة.

(٧) «ب»: التفكّر.

(٨) «ب» «د» «م»: بصالح.

(٩) «د»: لعهد.

(١٠) «ح»: ليتمثّل.

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٩١

عاهد ملكا من ملوك الدّنيا على عمل من الأعمال بحيث يكون فعله له بمرأى منه و مسمع، كيف يكون إقباله على عمله، و اجتهاده في إصلاحه، و اتقانه، و امتلاء قلبه منه، و مراقبته لنظر الملك بمجرّد الوعد، فضلا عن توكيده بالعهد.

فلا تجعل «١» نظر اللّه سبحانه دون نظر عبيده، فإنّ ذلك عنوان النّفاق، و انموذج الشّرك.

و هكذا يلاحظ وظيفة كلّ صلاة بحسبها، و يقوم بمرتبتها «٢» و آدابها، و لا يقتصر على ما بيّنّاه من الوظائف، بل يترقّى بنظره إلى ما يفتح اللّه تعالى عليه من المعارف، فإنّ أبواب الفيض مفتوحة، و أنوار الجود هابطة مبذولة، واصلة إلى النّفوس الإنسانيّة على قدر استعدادها.

وفّقنا اللّه تعالى و إيّاكم لتلقّي الأسرار، و أدرجنا في عداد عباده الأبرار، و أخذ بنواصينا إلى رضاه و رحمته، و عاملنا بعفوه و كرمه و مغفرته، و استعملنا بما علمناه، و أشركنا

في ثواب من افدناه، فإنّ ذلك منه، و به، و له، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

و ها هنا نقطع الكلام في هذه الرّسالة، حامدين للّه تعالى على كلّ حالة «٣»، و فرغ منها مؤلّفها العبد المفتقر «٤» إلى عفو اللّه تعالى، و كرمه، و رحمته: زين الدّين بن عليّ بن أحمد الشّامي العامليّ «عامله اللّه تعالى بفضله» «٥» يوم السّبت تاسع شهر ذي الحجّة الحرام، و هو اليوم المبارك يوم عرفة، سنة إحدى و خمسين و تسعمائة، حامدا مصلّيا مسلّما مستغفرا من ذنوبه «٦».

---

(١) «ب»: يجعل.

(٢) «ح»: بمزيّتها.

(٣) «ب» «د» «م»: حال.

(٤) «م»: الفقير.

(٥) «ب» «م»: بلطفه.

(٦) و جاء في آخر نسخة «ب»: و كتب بيده الفانية الجانية، فقير رحمة اللّه الغنيّ:

عليّ بن زين الدّين بن محمّد بن الحسن بن المصنّف «قدس اللّه أرواحهم».

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية، ص ١٩٣

الفهارس العامّة

* فهرس الآيات القرآنية.
* فهرس الأحاديث و الرّوايات الشريفة.
* فهرس الأحاديث القدسيّة.
* فهرس الحكايات و الأقوال.
* فهرس الأمثال.
* فهرس أعلام الكتاب.
* مصادر تحقيق الكتاب.
* فهرس موضوعات الكتاب.